

الثورة
الفرنسية
كارليل وهيبرت



تفصيل من سكتش دافيد لروبسبير

سلسلة « أعلام ومشاهير »
باشراف د. رءوف سلامة موسى
بدار ومطابع المستقبل

الثورة الفرنسية

عن دراستي
كارليل وهيبيرت

دار ومطابع المستقبل
بالفجالة والاسكندرية
ومؤسسة المعارف للطباعة
والنشر ببيروت

اجتماع ملعب التنس

لم تكن الثورة الفرنسية حادثاً عارضاً . وانما مثلت حلقة ضمن سلسلة ديناميكية من الأحداث ، التى تتابعت ، وتطورت ، لعوامل كثيرة ، بين دفينة وراسخة ، أو عارضة وجديدة .

وقد غير مجموع تلك العوامل ، بصورة متكررة ، مفهوم الثورة ، ومطالبها . وتبدل أبطالها والقائمون بها . وتعدل طريقها ومجراها . وتجاوز أحلام البادئين بها فى فرنسا . فأتسع نطاقها ، وشمل أنحاء أوروبا . وقد هزت النظم القديمة فيها . وأمتدت تعاليمها ، فى الحرية والأخاء والمساواة ، خلال الأعوام العشرين التالية « حتى لم تعد أوروبا بعد ذلك إلى ماكانت عليه قبلها » .

ويلاحظ أن الثورة الفرنسية قد جرت ، عقب الثورة الأمريكية[×] ، فى أكبر وأقوى أقطار أوروبا وقتذاك . فان تعداد فرنسا وقتها كان نصف تعداد أوروبا . وكانت باريس هى مركز الحضارة والثقافة فى هذه القارة .

(×) أنظر كتابنا « الثورة الأمريكية » فى هذه السلسلة .

وقد كانت الثورة الأمريكية فى مضمونها تحريرية . وأما الثورة الفرنسية فقد تناولت الميادين السياسية أولا . ثم تعدتها بعد قيامها إلى الميادين الاجتماعية .

وعندما تصدى الملوك الأوربيون لمساعدة ملك فرنسا ، هب الفرنسيون لقتالهم ، وكسب الأرض منهم . ثم تصدير أفكار ثورتهم إلى ممالكهم .

وتعدى تأثير الثورة الفرنسية بعد ذلك المكان الذى بلغه جنودها والزمان الذى قامت فيه .

* * *

وقد جرت العادة على اعتبار تحرك القوة الثالثة Troisieme Estate فى ٥ مايو عام ١٧٨٩ ، ضد القوتين الأخريين ، اللتين ضمتا رجال الدين والنبلاء ، هو البداية الفعلية للثورة الفرنسية . وكانت القوة الثالثة تتألف أساساً من طبقة البورجوازيين ، الذين تزايدت قوتهم وأهميتهم وأطماعهم فى ذلك الوقت فى مجتمعهم . وعجزوا ، لتجمد المجتمع المحيط بهم عن أن يتقدموا فيه .

ولكن الثورة لم تكن من صنع هؤلاء البورجوازيين وحدهم ، وانما انضم إليهم أيضا كثيرون من أبناء الطبقة الجديدة من العمال الصناعيين ، وبعضا من الفلاحين ، بل وعدد من رجال الدين والنبلاء .

ويلاحظ أن تطور الأحوال الاجتماعية والسياسية فى فرنسا ، كان قد تخلف تخلفاً كبيراً عن تطور الحركة الاقتصادية فى أنحاء أوروبا ، وخصوصا فى انجلترا . فان ظهور الصناعة ، واتساع التجارة ، اللذين شهدهما القرن السابق لقيام الثورة الفرنسية كانا يحتاجان من فرنسا ، كما احتاجا من غيرها ، إلى اصلاحات اجتماعية وسياسية تواكبهما . ولكن

تشبث النبلاء الفرنسيين بحقوقهم ، وعجز الملك الفرنسى وتردده عن دفع عجلة تلك الاصلاحات ، والوقوف إلى جانب أصحابها ، عاق اتمام التغيير المطلوب . يضاف إلى هذا أن فرنسا كانت قد حاولت ، بعد هزيمتها من انجلترا فى حرب السنوات السبع ، فى عام ١٧٦٣ ، مساعدة الولايات المتحدة فى ثورتها على المستعمرين الانجليز . فتورطت بسبب هذه المساعدة فى خراب اقتصادى ، كان من أهم مظاهره تزايد العجز فى ميزانيتها ، وغلاء أسعار ضروريات بورجوازية مدنها .

ويلاحظ أيضا أن عبء الخراب الاقتصادى فى فرنسا لم يتوزع بالعدل بين طبقاتها المختلفة . وانما وقع بكامله على أكتاف البورجوازية فى المدن ، والفلاحين فى الريف . فزادت عليهم الضرائب التى كان عليهم أن يؤدوها للحكومة وللنبلاء ولرجال الدين . بالاضافة إلى الاتاوات الضرورية لجامعيها ، والخدمات المجانية Corvèes التى كان عليهم أن يوفوها للملك والنبلاء .

هذا فى الوقت الذى أشاع فيه تدخل فرنسا فى الحرب الامريكية معانى وألفاظ « الحرية » و « العدالة » بين أفراد البروليتاريا الفرنسية . وردد فيه فلاسفة عصر العقل L'Age de raison والفلاسفة الفيزيوقراطيين Physiocrats (الذين سنتحدث عن بعضهم فيما بعد) هذه المعانى فى كتاباتهم وخطبهم وأحاديثهم .

* * *

وقد ذهب ممثلو القوى الثلاث : رجال الدين والنبلاء والقوة الثالثة ، فى مايو عام ١٧٨٩ ، إلى اجتماع المجمع الوطنى الجديد فى قصر فرساى . ولكن ممثلو القوة الثالثة لاحظوا أنهم لايتساوون تماما مع ممثلى

القوتين الأخريين . فبينما يلبس ممثلو رجال الدين والنبلاء الملابس والقبعات الملونة والمزركشة ، ويدخلون مبنى المجمع من أبوابه الرئيسية ، كان على ممثلى القوة الثالثة أن يضعوا ملابس سوداء غير مميزة . وأن يدخلوا الجمعية من أبوابها الجانبية ، ومن دون غطاء على رؤوسهم ! .

وكان الملك لويس السادس عشر قد عاد ، فى ضعفه وتردده الدائمين ، فانحاز بعد تأييده الأول لمطالب القوة الثالثة ، إلى رغبات الطبقتين المميزتين . فطلب أن تجتمع كل قوة من القوى الثلاث منفصلة عن الاخرى .

ولكن ممثلى القوة الثالثة رفضوا الاذعان لأوامره ، وأتجهوا إلى مقاومتها سلبيا . فأمضوا الاسابيع التالية فى التلكوء ، ووضع العراقيل ، من دون أن يتموا عملا .

وفى ١٧ يونيه ، أعلن ممثلو القوة الثالثة ، أنهم هم وحدهم يمثلون الشعب الفرنسى بجميع طبقاته . وقد أسموا أنفسهم بالجمعية الوطنية . وحاولوا ، بعد ذلك بثلاثة أيام ، أن يجتمعوا منفردين فى القاعة الرئيسية بمبنى المجمع . فلما أغلقت أبوابها دونهم ، ذهبوا إلى ملعب التنس المجاور لذلك المبنى ، وعقدوا اجتماعهم فيه . ثم أقسموا ألا يتفرقوا ، حتى يتم الاتفاق على دستور جديد للبلاد .

وهنا تراجع الملك الفرنسى مرة أخرى . فأمر ممثلى القوتين الاخريين بعقد اجتماع موحد مع أعضاء القوة الثالثة . ثم ألقى فى ٢٣ يونيه خطاباً ، حاول فيه أن يهادن أعضاء القوة الثالثة . فوعدهم بأتمام الاصلاحات السياسية والاقتصادية المطلوبة . ولكنه فى نهاية خطابه ، عاد يطالب بفصل اجتماعات القوى الثلاث . وأمر فى اليوم التالى بأن تجتمع كل قوة من القوى الثلاث فى قاعة حددها لها فى قصر فرساى .

وقد أدى اصرار الملك على هذه النقطة بالذات ، إلى عودة القوة الثالثة إلى خطتها الاولى فى المقاطعة السلبية . وخطبهم رئيسهم جين سيلفيان بايلى Bailly (١٧٩٣/١٧٣٦) فقال : « ان الامة عندما تجتمع ، لاتتلقى أوامرها من أحد » . وقال خطيبها أو نوريه جابرييل ريكتى ميرابوه Mirabeau (١٧٩١/١٧٤٩) : « إننا لن نترك أماكننا إلا على أسنة الحراب » ! .

وكان بايلى فلكيا ، وعضواً بالاكاديمية الفرنسية . وهو ابن رسام البلاط الفرنسى الشهير وأمين متحف فرساى .

وأما ميرابوه ، فكان فى الأربعين من عمره . وقد ولد « وفى فمه سنتان بارزتان ، وبجسمه قوة لا تنفذ » . وكان جده من أغنياء وتجار مرسيليا . وقد جرح فى حرب عام ١٧٠٥ ، وخرج منها مشوها . وكان والده مزارعا فى فونتنبلوه . وقد أصبح مركيزاً . وألف عدة كتب ومقالات ثورية . وقد أعتبر من المفكرين الفيزيوقراط ، من تلاميذ فولتير(×) Voltaire(١٦٩٤ / ١٧٧٨) الذين يفضلون الأصلاح على « حرية تتحلل الى فوضى » . ولايؤمنون كثيراً بالجماهير .

وكان ميرابوه قد أصيب بالجدرى وهو فى الثالثة من عمره ، فشوه المرض وجهه . كما أن رأسه كان كبيراً بالمقارنة إلى جسمه . وعيناه كانتا بارزتان . ولكنه كان يجذب مع هذا النساء ،بقوة جسده وحسن حديثه . وقد أنفق شبابه فى اللهو ، واشباع الجنس ، وسجن مرات فى شاتوه ديف وبونتارلياه وفينسيين . ثم هرب إلى سويسرا وهولندا

(×) أنظر كتابنا « فولتير » فى هذه السلسلة .

وانجلترا سنوات . وقد عاد فى بداية الثورة ، ورشح نفسه نائبا عن النبلاء فى بروفانس . ولكن النبلاء رفضوا أن ينيبوه عنهم . فرشح نفسه مندوباً عن القوة الثالثة . ونجح فى الانتخابات .

ويقال أن ميرابوه كان محبا للمعارضة والنقاش . وأنه لم يكن يتورع عن أتخاذ الطريق الذى يوصله لغايته . وقد وصف نفسه يوما بأنه « كلب مجنون » . وكان حاد الذكاء . ويتمتع بفهم عميق لطبيعة الروح الانسانية ولطرق تسيير الأمور . ولم يكن يبزه أحد فى خطاباته . فقد كانت أحاديثه مقنعة . وأفكاره ذكية ومرتبة . وصوته جهورى واضح .

وقد أيد ميرابوه ، بعد ذلك ، الملك ضد النبلاء . ونصحه بقبول قرارات القوة الثالثة ثم الجمعية الوطنية . وأستطاع أن يقنع الجمعية الوطنية بأن يحتفظ الملك بحق الفيتو على قراراتها . وبدا كأن الملك سيتبع نصائحه . وستتجنب البلاد الثورة . ولكن الملك كان يسىء ، فى قرارة نفسه ، الظن بميرابوه . لشهرة الاخير السيئة وابتعاد اخلاقه عن الكمال .

الصراع بين الملك والنبلاء

وكان الصدام بين الملوك والنبلاء فى أكثر أنحاء أوروبا قد حسم خلال القرن السابع عشر . ولكنه استمر فى فرنسا خلال القرن الثامن عشر . وقد كان من الممكن أن يستغل الملك لويس السادس عشر ذلك الصدام ، فى كسب تأييد الشعب الفرنسى لمواقفه ضد نبلائه ، وتأليب الفرنسيين عليهم . بتجريد النبلاء من حقوقهم الموروثة فى الاعفاء الضريبى ، وجمع الضرائب بأسم الدولة ، وتسخير الفلاحين فى العمل لهم من دون مقابل الخ .

ولكن الغريب هو أن النبلاء الفرنسيين قد نجحوا فى استغلال مواقفهم فى الدفاع عن حقوقهم ، فى الظهور بمظهر حامى الحريات ، والمدافع عن حقوق فقراء البلاد .

فان الملك كان يحتاج ، عند فرض أية ضرائب جديدة ، إلى موافقة البرلمانات الثلاثة عشرة الرئيسية فى البلاد . وكان النبلاء يسيطرون سيطرة كاملة على هذه البرلمانات . وقد نجحوا فى ذلك عدة مرات . كان آخرها فى عام ١٧٦٣ ، زمن الملك لويس الخامس عشر ، فى رفض مقترحات الملك بشأن الضرائب ، والتعلل بأن مجمع القوى الثلاث هو

وحده المفوض بفرضها .

ويلاحظ أن مجالس البرلمانات الثلاثة عشرة ، وأهمها فى باريس ، كانت أساسا محاكم قانونية . وكان أهم أعضائها من القانونيين من أهل ارستقراطية الارواب Noblesse de robe الذين احتلوا احتلالا فعليا مكانة النبلاء الفرانك القدامى d'epèes ،Noblesse الذين كانوا يخرجون مع الملك فى حروبه . وكان نبلاء الارواب يتحكمون فى البلاد تحكما كاملا . ويشاركون نبلاء البلاط Noblesse de court فى تصدر الاحتفالات والمهرجانات .

وكان من الضرورى للملك أن « يسجل » فى هذه البرلمانات الثلاثة عشر ، التى يسيطر عليها نبلاء الأرواب ، كل قانون جديد . ومع أنه كان يستطيع أن يتخطى معارضتها لهذه القوانين ، وأن يضعها موضع التنفيذ من دون موافقتهم ، فان معارضة النبلاء لقانون منها ، كان سلاحا قويا بين أيديهم . إذ كان يعطى القانون سمعة كريهة . ويكسب النبلاء بمعارضته شعبية واسعة .

ولم يكن مجمع القوى الثلاث قد اجتمع منذ عام ١٦١٤ . وكان ملوك فرنسا السابقين قد نفوا فى عام ١٧٧١ أعضاء برلمان باريس إلى تروى . ونكلوا بأعضاء برلمانى روان ودويه أشنع تنكيل . وكان لويس الخامس عشر ، على وجه الخصوص ، قد نفذ من دون استشارة تلك البرلمانات ، كل ماشاء من اصلاحات ، وفرض كل ماأراد من ضرائب .

ولكن عند اعتلاء لويس السادس عشر عرش فرنسا ، فى عام ١٧٧٤ ، أراد أن ينهج نهجا اصلاحيا وديمقراطيا جديداً . فأعاد البرلمانات الثلاثة عشرة . واستبدل وزراء والده السابقين بآخرين أكفاء . فعين موريباه للبحرية . والكونت سان جيرمان للحرب .

وتيرجوه للمالية . وكتب الفيلسوف الانسيكلوبيدى جين ليرون دالمبير d'Alembert (١٧٨٣/١٧١٧) وقتذاك للقيصر فريدريك الاكبر : « ان الأمة كلها تهلل فى صوت واحد ، وتنتظر فجراً جديداً على البلاد » .

ولكن النبلاء الفرنسيين رفضوا ، أن يتنازلوا عن شيء من امتيازاتهم . ونجحوا ، رغم هذا ، فى أن يظهروا ، بمظهر المدافع عن الحريات ، والمحارب للطغيان ، والحامى لمصالح الفقراء . وكان أكثر الفرنسيين فى ذلك الوقت يؤيدونهم ، ويعجبون بمعارضتهم القوية للملك ! .

وقد أدى ضعف الملك ، وغفلة الشعب الفرنسى عن حقيقة دور النبلاء ، إلى أن يتصلب النبلاء الفرنسيون فى موقفهم . وكانت عضوية البرلمانات الثلاثة عشرة تكاد تقتصر عليهم . ثم أصبحت المناصب العليا ، بين الأساقفة ، وقواد الجيش ، وفى الوزارة والسفارة ، مقصورة عليهم . وعند بداية أحداث الثورة الفرنسية كانت جميع مراكز الاساقفة فى فرنسا ، وجميع قواد جيشها وبحريتها ، من النبلاء .

* * *

ومع أن بلاط الملك لويس السادس عشر فى فرساى ، كان أفخم وأعظم بلاطات أوروبا . ويعكس أزهى عصور الملكية الفرنسية المطلقة . وتتركز بين يدى ملكه جميع السلطات التشريعية والتنفيذية والقضائية فى فرنسا . « ولم يكن إلى جانبه شخص آخر ، أو هيئة أخرى ، معينة أو منتخبة ، تشاركه سلطاته المطلقة » . فالحقيقة هى أن النبلاء الفرنسيين كانوا يمسكون بين أيديهم بأهم الخيوط . وأن الملك الفرنسى كان من النواحى السياسية والعسكرية والاقتصادية ضعيفا غاية الضعف .

ولم تكن ميزانية البلاط الفرنسى قد انفصلت عن ميزانية الدولة حتى عام ١٧٨٨ . وقد قدرت المصروفات فى هذه الميزانية الأخيرة بحوالى ٦٢٩ مليون جنيه ، وقدرت الايرادات بحوالى ٥٠٣ مليون جنيه . وقد ذهب أكثر من نصف هذه المصروفات (٣١٨ مليون جنيه) لسداد فوائد الدين القومى للبلاد .

وكان الملك عاجزاً عن جمع الضرائب بطريقة عادلة وحازمة . فأن أراضى الكنيسة (التى كانت تؤلف أكثر من عشر أراضى فرنسا) كانت معفية من كل نوع منها . ولكن الكنيسة كانت « تساهم » فى كل خمس سنوات أو نحوها ، بقدر من المال يحدده رؤساؤها لميزانية الدولة .

ولم تكن أراضى النبلاء (السادة Seigneur الذين يحملون السيف الشرفى) والتى تؤلف خمس أراضى فرنسا ، تدفع أية ضرائب . وانما تساهم برسوم رمزية . ولم يكن النبلاء يدفعون ضريبة على الدخل . ويتمتعون بكثير من الامتيازات ، كالاعفاء من ضريبة النبيذ . ويجمعون لانفسهم ايرادات عصر النبيذ وطحن الغلال وغيرهما من أنحاء مقاطعاتهم .

ويلاحظ أن عدد سكان فرنسا فى هذا الوقت كان ستة وعشرين مليونا . يعمل حوالى العشرون منهم بالزراعة . ويعيش الباق فى المدن . وكان عدد أفراد الطبقتين المميزتين يقل عن النصف مليون . من بينهم حوالى ١٠٠٠٠٠ من رجال الدين ، الذين يسيطرون إلى جانب الكنائس والأرض ، على أكثر مدارس البلاد . وحتى على شئون الاعلام ، إذ كانت قد أوكلت لهم جميع شئون الرقابة .

وأما بقية الفرنسيين ، فكانوا يدفعون أنواعا كثيرة من الضرائب

والرسوم من أهمها ضريبة الفرد Capitation . وضريبة العشرين Vingtième . وضريبة الطريق Taille . بالاضافة إلى الرسوم الأخرى المنوعة على الزراعة والتجارة والصناعة . ويلاحظ أن النظام المتوارث فى بيع ضرائب بعض المناطق لنبلائها ، كان يلقى عبئا ثقيلا على الفقراء ، من دون أن تظفر الدولة منه إلا بحوالى أربعين بالمائة من قيمة الضرائب المجموعة عن طريقه .

وأما القوة الثالثة فى فرنسا ، فكانت تؤلف وحدة قانونية ، من غير النبلاء ورجال الدين ، من دون أن تؤلف طبقة اجتماعية أو اقتصادية واحدة أو متماثلة . فقد كانت تضم رجال التجارة والمال والصناعة ، وأصحاب الحوانيت فى المدن . يضاف إليهم موظفو الدّولة والاداريون ، ورجال الحرف ، كالمحامين والأطباء ، والعمال . وكانت فرنسا قد شهدت خلال القرن الثامن عشر توسعا صناعيا وتجاريا كبيراً . فتضاعفت التجارة الداخلية ثلاث مرات . والخارجية حوالى خمس مرات . وكانت المدن الجديدة فى مرسيليا ونانت وبوردو قد قامت . وشقت الطرق ، وأقيمت البنايات والحدائق الجديدة فى أنحاء البلاد . وظهرت ثروات كبيرة بين العائلات التجارية والمالية والصناعية . وكان بعض هؤلاء يشترون ألقاب الاشراف ، ويتحولون إلى نبلاء ، ويزوجون أبناءهم كلما استطاعوا من فقراء العائلات النبيلة القديمة .

ولكن تصلب طبقة النبلاء ، أقام العراقيل فى تحول الموسرين من أبناء القوة الثالثة إلى الطبقة العليا . ولعل هذا قد أدى إلى غضبهم وحقدهم عليهم . وسنلاحظ عند تتبع أحداث الثورة الفرنسية ، أن أبناء المهن بالذات ، هم الذين قادوا أكثرية البورجوازية من أهل باريس والمدن

الاخرى ، من أصحاب الحوانيت والحرف والعمال . وكان أكثر ماضايق تلك الطبقات وقتها هو الغلاء المتزايد ، وارتفاع ثمن الخبز بالذات . وقد قاموا باضطراباتهم الاولى لمحاولة وقف هذا الغلاء ، وللمطالبة بزيادة أجورهم لمواجهته .

محاولات اصلاح الاقتصاد

وكان لويس السادس عشر عندما تولى عرش فرنسا ، فى عام ١٧٧٤ ، شابا حسن النوايا . يريد أن ينجح . وأن يحبه شعبه . ولكنه كان خجولا . يكره حياة البلاط . ويستثقل الساعات التى ينفقها فى أمور الحكم . وكان يميل للقراءة . وقد أمر بشراء نسخة من موسوعة دنيس ديديروه Diderot (١٧١٣/١٧٨٤) التى عمل فيها أيضا دالمبير الذى سبقت الأشارة اليه . ويقال أن لويس السادس عشر قد قرأها كلها . وأنه لم يستوعب منها شيئا ! .

وقد أخرج ديديروه وزملاؤه هذه الموسوعة Encyclopedie فى ١٧ جزءاً بين الأعوام ١٧٥١ و ١٧٧٢ . ثم أضيف اليها بين الأعوام ١٧٧٦ و ١٧٨٠ سبعة أجزاء اخرى .

وقد قيل أن أطماع لويس السادس عشر فى حياته ، كانت قليلة وبسيطة . فقد كان يحب الأكل ، ويفرط فيه. ويحب الصيد ، ولايتوانى عن انفاق كل مايستطيعه من ساعات نهاره فوق ظهر جواده ، يلاحق غزالا أو خنزيراً وحشيا . وكان هذا أكثر مايضايق رجال حاشيته . وحتى زوجته .

ولم يكن طول لويس السادس عشر يجاوز ١٧٠ سم . وكان ظهره

مقوساً . وقد أخذ منذ اعتلائه العرش فى السمنة الزائدة ، التى أخذت تنفر منه من حوله . وقد ذكر عنه انه قد « أفطر » فى أحد الأيام « بأربعة قطع من اللحم ، ودجاجة مشوية ، وطبق من الهام ، و ٦ بيضات بالصلصة ، وزجاجة ونصف من الشمبانيا » ! .

وكان لويس السادس عشر يهوى العمل بيديه . ويحب أن يطرق الحديد والنحاس بمطرقته . وأن يصنع الأقفال . ويصلح الساعات . وينحت الخشب . ويبنى الأسوار . ولازالت فى قصر (الان متحف) فرساى مكتبة بيضاء مذهبة صنعها ذلك الملك بنفسه . وقد ذكرت عنه مدام رولاند انه لم يكن سعيداً بعرشه ، ولا بالساعات التى كان يقضيها فى حكم بلاده . وأنه كان يكون أكثر سعادة لو عمل فى شىء آخر ، كأصلاح ساعة أو صنع قفل .

وقد تزوج لويس السادس عشر وهو فى الخامسة عشرة من عمره بمارى انطوانيت Marie Antoinette . وكانت تصغره بعام واحد . وهى الأبنة الخامسة عشرة لامبراطورة النمسا ، ماريا تيريزا . ويقال أن زوجته ، على جمالها وذكائها ، لم تكن قد تعلمت شيئا . وأنها عندما بلغت الرابعة عشر من عمرها ، أرسلت إلى جزيرة على نهر الراين ، حيث خلعت عنها ملابسها ، وسلمت عارية للفرنسين . وقد ألبسها هؤلاء الملابس الفرنسية (دلالة على تجردها الكامل من وطنها ، واتخاذها فرنسا وطنا ثانيا) . ثم أرسلوها إلى باريس . حيث تزوجت بعد أيام من وصولها من ولى العهد .

ويقال أن لويس السادس عشر لم يدخل بعروسه طوال السنوات الثلاث الاولى لزواجهما .

ومهما كان الأمر ، فان مارى انطوانيت لم تنجب له ابنته الأولى إلا

بعد انقضاء سبعة سنوات على هذا الزواج . ثم انجبت له فى عامى ١٧٨١ و ١٧٨٥ ابنين . وفى عام ١٧٨٦ ابنة اخرى .

ويلاحظ ان مارى انطوانيت لم تحاول ان تعوض شيئا من نقائص زوجها ، لويس السادس عشر . بل هى على العكس ، أساءت اليه ، وكشفت بعنادها وسخريتها الجارحة احيانا ، عن ضعفه وتردده .

وكان لمارى انطوانيت فى البلاط الفرنسى ، وبين جموع الشعب الفرنسى بعد ذلك ، أعداء كثيرون . وقد اتهموها اتهامات أبسطها أنها أجنبية تتدخل فى شئون البلاد . وأشدها أنها تخون زوجها مع غيره من الرجال والنساء . وتقيم علاقات شاذة بينها وبين بعض سيدات البلاط ، ومنهن الأميرة والأرملة ديه لامبال (التى كان يغمى عليها لأقل سبب ، وقيل أنها قد أغمى عليها مرة لرؤية صورة عقرب) والدوقة ديه بوليناك .

وقد ظهرت ، عند بداية الثورة الفرنسية ، مقالات ومنشورات مطبوعة كثيرة تندد بمارى انطوانيت وعلاقاتها الشاذة . ولعلنا نضيف هنا أن المؤرخ الفرنسى ديه مرسيه قد أرجع حدة لسان مارى انطوانيت ، الذى أفسد علاقاتها بالكثيرين ، الى احباطها الجنسى مع زوجها ! .

* * *

وقد أعاد لويس السادس عشر ، عند توليه العرش فى عام ١٧٧٤ ، البرلمانات الفرنسية الى العمل.وعين البارون ديه لون تيرجوه Turgot (١٧٨١/١٧٢٧) وزيراً للمالية . وكلفه باعداد الاصلاحات الاقتصادية الضرورية لاصلاح البلاد . وكان تيرجوه ادارياً قديراً . وخادماً مخلصاً للتاج الفرنسى . وقد أراد أن يرفع الحواجز الاقتصادية

التى تعوق التجارة فى داخل فرنسا . وأن يذلل تدفق البضائع الفرنسية الى أنحاء أوروبا . فحرر المؤسسات التجارية والصناعية من الروتين الحكومى . وأطلق حرية التجارة فى الحبوب . وألغى القيود المهنية المفروضة على استخدام العمال . وأراد أن يعمم الضرائب على جميع الأراضى الزراعية . وألا يستثنى أحداً من دفعها .

وقد حققت أعمال تيرجوه المعجزة . فتبدل عجز ٢١ مليونا من الجنيهات فى ميزانية فرنسا ، إلى فائض يزيد على ١١ مليون جنيه .

ولكن تيرجوه كان عنيفا . جارح الكلمات . وقد رفضت البرلمانات الفرنسية اصلاحاته . وأعلنت أن تلك الاصلاحات تقوض الاساس الاجتماعى فى فرنسا .

ولم يأبه لويس السادس عشر فى بداية الأمر لرفض البرلمانات لاصلاحات تيرجوه . ولكن الدسائس والاشاعات أخذت تلاحقه فى أنحاء بلاطه . حتى طرد تيرجوه فى عام ١٧٧٦ ، وعين فى مكانه المالى السويسرى جاك نيكر Necker (١٨٠٤/١٧٣٢) . وكان نيكر ، بالاضافة إلى عدم فرنسيته ، بروتستانتيا . فلم يستطع لويس السادس عشر أن يعينه وزيراً . وجعله رئيسا عاما للميزانية . وأنتهز النبلاء الفرنسيون ، وعلى رأسهم شقيق الملك ، الكونت ديه بروفانس ، هذا الضعف فى نيكر ، فطالبوا بدور محدد فى حكم البلاد .

وكانت مساعدات فرنسا للولايات المتحدة فى حرب استقلالها عن انجلترا على أقصاها . وقد أربت فى النهاية على ٢٠٠٠ مليون جنيه . وقد حاول نيكر أن يعثر على الاموال التى يحتاجها عن طريق طرح قروض مرتفعة الفائدة . ولكن هذه القروض أثرت على الحالة الاقتصادية فى فرنسا ، وساهمت فى ازدياد الغلاء .

ثم أعقب نيكر بين الاعوام ١٧٨٣ و ١٧٨٧ ، وزير جديد ، هو شارل كالون Calonne (١٧٣٤/١٨٠٢) . وقد ساعده على تنظيم الاقتصاد الفرنسى انتهاء الحرب الاهلية الامريكية ، وتوقف مساعدات فرنسا لتلك البلاد . ونجح كالون فى عقد معاهدة تجارية مع انجلترا . وتمتعت فرنسا لاول مرة منذ سنوات طويلة بمحصول وافر من الحبوب ، وبشىء من الاستقرار الاقتصادى ، الذى ظهرت أثاره على احوالها السياسية .

ولكن هذه الاحوال لم تستمر . واضطر كالون فى عام ١٧٨٦ ، الى العودة لاصلاحات تيرجوه . فألغى ضريبة العشرين . وعمم الضرائب على كل من يزرع أرضاً . وحصر جمع هذه الضرائب فى مندوبى الملك . وعندما رفض النبلاء تلك الاصلاحات ، حاول كالون أن يتخطاهم الى الرأى العام الفرنسى .

وكان لويس السادس عشر قد أعلن مساندته لكالون . فتجاهل كالون البرلمانات . وألف لجنة من ١٤٤ عضواً ، من النبلاء ورجال الدين والقضاة وغيرهم ، وأوكل اليها بحث مشروعاته الاقتصادية .

وقد اجتمعت لجنة كالون فى فبراير عام ١٧٨٧ . ولكن الملكة والكونت ديه بروفانس (شقيق الملك) والدوق ديه اورليانز (ابن عم الملك) وأعوانهم ، عارضوا مقترحات كالون . وبدأ الملك يطلب مشورة المحيطين به . ثم أخذ يتردد ، ثم يتراجع عن تأييد وزيره . وفى النهاية ، طرده من الوزارة . بل ونفاه الى ضيعته فى اللورين . وجدير بالذكر ، أن برلمان باريس قد أخذ بعد ذلك يتهدد كالون ، حتى فر الى انجلترا . وكان من أوائل المهاجرين اليها Emigrèes .

وقد خلف كالون فى الوزارة ، مرشح الملكة والنبلاء : الأسقف

لوميني ديه بريين de Brienne (١٧٣٨/١٧٩٣) . وحاول ديه بريين أن يعدل مقترحات كالون بحيث تلائم رغبات النبلاء . ولكن هؤلاء أصروا فى البرلمانات على رفضها . وندد برلمان باريس فى مايو عام ١٧٨٨ بدكتاتورية الحكومة ، وأكد حق البرلمانات الذى لاينازع فى تقرير الضرائب . ثم طالب بدعوة مجمع القوى الثلاث .

واضطرت الحكومة الى وقف اجتماعات برلمان باريس . وقبضت على بعض اعضائه . وأوكلت اختصاصاته الى لجان ألفتها . ولكن هذه الاجراءات جعلت من أعضاء البرلمان ابطالا . وأوضحت للفرنسيين دور البرلمانات فى الدفاع عن الحريات . فنددوا فى كل مكان بالحكومة ووزرائها . ثم اجتمع النبلاء ورجال الدين ، وطالبوا باستقالة ديه بريين . وتخاذل الملك مرة اخرى . وقبل استقالته . وألغى اللجان التى ألفها .

ثم عاد نيكر الى الوزارة . وتقرر دعوة مجمع القوى الثلاث للاجتماع . ولم يكن قد اجتمع ، كما ذكرنا ، منذ عام ١٦١٤ .

ذوبان القوى الثلاث فى جمعية واحدة

وكانت فرنسا قد أخذت تموج منذ استقالة كالون ، وصدور الدعوة لانعقاد مجمع القوى الثلاث ، بالمناقشات والخطب والكتب الثورية . وقد تركزت هذه النشاطات فى باريس بالذات ، حيث امتلأت قهاوى الباليه رويال بالخطباء ، وكتاب المنشورات ، الذين ينادون بالدستور ، وبالمحافظة على حريات الانسان . وقد أعيد فتح النوادى السياسية التى كانت قد أغلقت . وتألفت جمعيات جديدة ، علنية وسرية . وقامت ندوات وصالونات كثيرة ، تردد وتحبذ دعوات الفيزيوقراطيين .

ولعل أشهر جمعيات ذلك العهد ، هى « لجنة الثلاثين » السرية ، التى أخذت تجتمع منذ نوفمبر عام ١٧٨٨ فى منزل عضو برلمان باريس ادريان ديبور Duport (الذى هرب من فرنسا بعد ذلك ، وتوفى فى سويسرا فى عام ١٧٩٨) . وقد ضمت هذه اللجنة عدداً من أعضاء الأرستقراطية الفرنسية . من بينهم دوق روشفوكو ليانكور ، ودوق داجيون ، والمركيز كوندورسيه (الذى أعلنت الثورة بعد ذلك خروجه على القانون ، وتوفى « فى العراء » فى عام ١٧٩٤) .

كذلك ضمت لجنة الثلاثين عدداً من أهم قواد الثورة الفرنسية بعد ذلك . ومنهم الاسقف (والامير بعد ذلك) تاليران

Talleyrand - Perigord (١٨٣٨/١٧٥٤). والاسقف ايمانيويل جوزيف سايز Abbè Sieyes (١٨٣٨/١٧٤٨) الذى انتخب فى مجمع القوى الثلاث عن باريس . والمركيز لافاييت de Lafayette (١٨٣٤/١٧٥٧) .

وقد خدم تاليران الثورة ، ثم نابليون ، ثم الملك لويس الثامن عشر بعدهما .

وأما سايز ، فكان فى الأربعين من عمره عند قيام الثورة . صغير الجسم . ضعيف الصوت . فلم يشتهر بالخطابة . وانما اشتهر بكتاباته . وكانت سخريته لاذعة . وكان قد أصبح قسيسا منذ عام ١٧٧٣ . ولكن منبته المتواضع حرمه من أن يصبح كاردينالا .

وأما المركيز لافاييت ، فكان طويلا ورفيعا . ذو أنف طويل ، وشعر أحمر مرسل . وكان واسع الدهاء . وقد حارب الانجليز فى الولايات المتحدة ، واتصل فيها بجورج واشنجطن(×) . ولما عاد الى فرنسا ، انتخب عن ريوم . وقيل انه كان يريد أن يصبح جورج واشنجطن هذه البلاد .

* * *

وقد جرت انتخابات مجمع القوى الثلاث فى بداية عام ١٧٨٩ . وكانت مباشرة لطبقتى رجال الدين والنبلاء ، وغير مباشرة للقوة الثالثة . وقد شارك فى الانتخابات الأخيرة كل من بلغ عامه الخامس والعشرين ، ودفع الحد الأدنى من الضرائب المقررة . وكانت ستة جنيهات سنوياً فى باريس . وقد انتخبت القوة الثالثة هيئة من الناخبين ،

(×) أنظر كتابنا « واشنجطن » فى هذه السلسلة .

تولت انتخاب ممثليها فى فرساى . وقد لوحظ أن انتخابات القوة الثالثة غير المباشرة هذه قد ميزت بصورة واضحة مهنيى الطبقة الوسطى فى فرنسا .

وفى نهاية ابريل عام ١٧٨٩ تقاطر على فرساى ١٢٠١ مندوبا ، يمثلون ٣٠٠ من رجال الدين و ٢٩١ من النبلاء و ٦١٠ من القوة الثالثة .

ولكن القوة الثالثة سرعان ماااكتشفت أن وضعها فى فرساى لايتكافىء مع وضع القوتين الأخريين . كتب سابيز :

« ان من العبث أن تمثل القوة الثالثة على هذا النحو الذى يراد لها ، وان تقنن بقبولها له الطغيان الذى ستتعرض له وستصبح ضحيته . وأن تطيل بسكوتها عليه الظلم الواقع عليها . وأن تؤكد اغلاق الابواب أمام الأكفاء والعاملين من رجالها ، فلايترقوا إلى المناصب العليا التي يجرى قصرها على الطبقات المميزة » .

الى ان يقول :

« ان الارستقراطية أقلية ضئيلة وقليلة الفائدة للأمة . وهى لاتزيد عن ٤٠٠٠٠٠ من المتميزين . بينما الأمة ، وهى الأهم ، تتجاوز ٢٤ مليونا » .

وقد سبق أن وصفنا تردد الملك فى تأييد النبلاء مرة ، وتأييد القوة الثالثة مرة أخرى . وقد اقترح سابيز أن تدعو القوة الثالثة ، القوتين الأخريين للانضمام اليها . « ومن لم يفعل منهم ، فقد تنازل عن حقوقه كممثل للأمة » .

ثم لقبت القوة الثالثة نفسها ، منذ ١٧ يونيو عام ١٧٨٩ ، بأسم « الجمعية الوطنية » .

وكان بعض رجال الدين ، مثل تاليران ، وبعض النبلاء ، مثل لافاييت ودوق اورليانز ، قد أعلنوا تأييدهم للقوة الثالثة . وسرعان ماانضم الى اجتماعات هذه القوة عدد آخر من رجال الدين ، كأسقفى باريس وأوتون ، وحوالى ٤٠ نبيلا آخر . ثم صوتت أغلبية رجال الدين ، فى ١٩ يونيو عام ١٧٨٩ ، بالانضمام الى القوة الثالثة .

وقد أعقب ذلك ، كما ذكرنا ، اجتماع ملعب التنس . وقسم المجتمعين فيه على عدم التفرق حتى يضعوا دستور البلاد . والطريف ان سكرتير الملك ، الكونت أرتواه ، قد حاول ان يمنع الاجتماعات التالية للقوة الثالثة فى ملعب التنس ، فحجز هذا الملعب كى يلعب فيه هو وأصحابه ! . ولكن اعضاء القوة الثالثة نقلوا اجتماعاتهم التالية الى كنيسة سانت لوى القريبة .

وفى ٢٣ يوليو عام ١٧٨٩ ، دعا الملك لويس السادس عشر القوى الثلاث الى اجتماع موسع . خطبهم فيه . ووعد باجراء الاصلاحات الضرورية . وأصر على ان تعقد القوى الثلاث اجتماعاتها منفردة .

وقد عارضه ميرابوه . وقال لاعضاء القوة الثالثة :

« ان الامور تملى علينا بطريقة مهينة . اننى اطلب منكم جميعا ان تتحملوا مسئولياتكم ، وان تتصرفوا بوحى من القسم الذى اقسمتموه فى ملعب التنس . اننا لن نتفرق حتى نضع دستور البلاد » .

وقد صوتت الجمعية الوطنية على هذا بأغلبية ٤٩٣ صوتا ضد ٣٤ . ثم عاد الملك ، فى ٢٧ يونيو ، فأمر رجال الدين والنبلاء بالانضمام

الى القوة الثالثة . فعقدوا اجتماعا موحدا كبيراً برئاسة سقف فيين . ولم
يعد لفرنسا بعد ذلك الحين قوات طبقية ثلاث يضمها مجمع واحد .
وانما ممثلون للأمة تجمعهم جمعية وطنية واحدة .

سقوط سجن الباستيل

وكان الملك لويس السادس عشر ، قد سحب ستة فرق من جيش الشرق ، المعسكر على حدود فرنسا الشرقية ، وأرسلها الى باريس . فأحاطت بمرتفاعاتها ، وتوزعت على أهم نقطها الاستراتيجية ، كالكبارى والمبانى الحكومية والسجون . واستدعى الملك لويس السادس عشر ، المريشال بروجلى من الألزاس وعينه وزيراً للحرب . ثم طرد نيكر ، وعين فى مكانه رجل البلاط ، البارون بيرتوى ، وزيراً للمالية .

فلما أحس اهالى باريس بما يدور حولهم ، زاد قلقهم ، وأحتدت اضطراباتهم . واخذوا يهاجمون تجار الحبوب والدقيق والمخابز ، ويطالبونهم بخفض اسعارهم . ويستوقفون المارة . ويسألونهم ما إذا كانوا يؤيدون القوة الثالثة أو النبلاء . وقد اعتدوا على بعض جنود الجيش . وهاجموا أحد سجون المدينة .

وقد جعلت هذه الاضطرابات ، الملك لويس السادس عشر يأمر باستدعاء عشر فرق أخرى من الجيش الى العاصمة .

وكان ميرابوه قد أعلن فى ٨ يوليه :

« ان جنوداً كثيرين يحيطون بنا . وكثيرون غيرهم يصلون الى

العاصمة كل يوم . بل ان المدفعية قد ارسلت اليها . ولهذه الاحداث مغزى واحد لايخفى على أحد » .

وقد أرسلت الجمعية الوطنية للملك لويس السادس عشر ، تسأله :

« ماحاجة ملك يحبه شعبه البالغ عدده ستة وعشرون مليونا الى بضعة آلاف من الجنود ؟ » .

وكان ناخبو باريس قد اجتمعوا فى الهوتيل ديه فيل ، وألفوا من بينهم مجلسا محليا ، وادارة محلية « كوميون » . ثم اخذوا فى تنظيم ميليشيا خاصة : أطلقوا عليها اسم الحرس الوطنى Guardes Nationales من الأهالى الموثوق فيهم « لوقف المؤامرة الاستقراطية ، ولوضع حد للتعديات المتطرفة » .

وقد تألف الحرس الوطنى من المهنيين دافعى الضرائب . الذين لم يكونوا يتسلمون أجراً . وقد كلفوا بالعمل فيه يوما فى كل اربعة أيام . ومباشرة أعمالهم العادية فى الايام الثلاثة الباقية .

ولكن مع أن هذا الحرس قد نشأ كقوة بورجوازية ، الا أنه قد تحول بعد ذلك الى قوة كبرى فى أيدى البروليتاريا .

وقد تولى لافاييت قيادة هذا الحرس . واختير له علم ذو ثلاثة ألوان ، هو الأحمر والأبيض والأزرق . وكان اللونان الأحمر والأزرق هما لونى باريس . والأبيض هو شعار البوربون . ولكن المدن الأخرى اقتدت بباريس ، فنظمت كوميوناتها وميليشياتها الخاصة بها . وأخذت علم الثورة فى باريس علما لها . ويلاحظ أن هذه الألوان أو بعضها ، قد ظهر بعد ذلك فى أكثر الانظمة الثورية فى العالم .

وكان الباريسيون يتجمعون فى ميدان القصر الملكى ، ويستمعون

لخطابات كاميل ديسمولان Desmoulins (١٧٩٤/١٧٦٠) . الذى كان يحذر الوطنيون من الهدف وراء حشد جنود الجيش الفرنسى فى باريس وفرساى . ويطالبهم بالاستعداد ، بالتحصن والتسلح .

ولم يكن ديسمولان قد فرغ من دراسة الحقوق ، حين جرفه التيار الوطنى ، وأخذ يحرر مقالاته الثورية ، ويلقى خطبه النارية على أسوار قصر التويلرى . وقد كتب لوالده وقتذاك :

« ان من البسيط جداً ، بعد ما أخفقت فى الانتخابات للجمعية الوطنية ، أن أتحدث من أسوار القصر . وليس علىّ أن أطلب الأذن بالحديث من رئيس الجمعية . ولا أن أنتظر دورى فى الكلام بالساعات . وأنما أنا أتحدث فى كل ما يحلو لى من مواضيع . وما على إلا أن أبدى رغبتى ، فيدفعنى السامعون فوق كرسى أمامهم . فاذا صفقوا ، نبهتهم الى السكون . واذا صفروا وسخروا منى ، نزلت . لقد نظم الرومانيون مناقشتهم على هذا النحو » .

وكان ديسمولان يتزود على الدوام بمسدسين . ويجاهر بأنه لن يقع أبداً ، حياً ، فى أيدى البوليس . ويضع شريط أخضر على قبعته « علامة على الربيع ، والأمل ، والحرية » . ويوصى أتباعه بأن يحملوا « شيئاً أخضر » معهم علامة على تأييدهم للثورة . والجدير بالذكر أن هذا الشريط الأخضر لم ينتشر بعد ذلك . وقد ترك مكانه للألوان الثلاثة السابق وصفها ، عندما اتضح أن اللون الأخضر هو شارة الكونت أرتواه ، شقيق الملك .

* * *

وقد أخذ اتباع ديسمولان يبحثون عن الأسلحة فى أنحاء باريس . فوجدوا قليلا منها فى مبنى البلدية . ثم عثروا فى هوتيل ديزانفاليد على عشرة مدافع وعدة آلاف من البنادق . ولكنهم لم يصادفوا الا قليلا من ذخيرتها . وقد ظنوا أنهم سيجدون كفايتهم من الذخيرة فى سجن الباستيل .

وكان الباستيل مبنى ضخم من ثمانية أبراج مستديرة . يحيط به سور عال ارتفاعه ٩٠ قدما . وتحيطه قنوات مملؤة بالمياه عمقها ٢٥ قدما . وقد بنى فى القرن الرابع عشر كقلعة حربية . ثم استخدم بعد ذلك كسجن . ومع انه لم يكن به الا عدد قليل من المسجونين ، فان سمعته كانت سيئة جداً . فقد أشتهر عن سجانيه القسوة .. وجهلهم التام بحقيقة أشخاص هؤلاء المسجونين ، لضمان عدم مساعدتهم لأحد منهم . وكان بعض الفلاسفة والأدباء ، كفولتير ، قد سجن فى الباستيل . كذلك سجن فيه بعض الثوار ، كلاتود ، الذى اتهم بمحاولة اغتيال عشيقة الملك السابق : مدام ديه بومبادور(×) .

وكان أهالى منطقة فوبورج سانت انطوان ، المحيطة بالباستيل ، يحاصرون السجن منذ صباح يوم ١٤ يوليه عام ١٧٨٩ . وكان على رأسهم صانع الخمور انطوان جوزيف سانتير Santerre وستانيسلاس ميلارد Millard . وقد أرسلوا وفداً منهم فى الساعة العاشرة صباحا الى حاكمه : المركيز برنارد رينيه ديه لوناى لبحث أمر تسليمه لميليشيا المدينة . وكان لوناى جالسا على افطاره حين جاءه الوفد . فطلب من

(×) أنظر كتابنا « مدام ديه بومبادور » فى هذه السلسلة .

الوفد مشاركته فيه . فجلسوا معه ، وأخذوا يناقشونه فى مطالبهم . ووافقهم لوناى على تحريك المدافع المنصوبة فوق الباستيل ، والتى كانت تستثير (كما قالوا) عواطف المتظاهرين .

وفى هذه الأثناء ، كانت الجموع الآتية من الانفاليد ، بقيادة جان بابتست هيبيرHumbert قد انضمت للمحاصرين للسجن . وكان هيبير باريسياً قحا . وقد تعلم صناعة الساعات فى سويسرا . ثم عاد الى مدينته ، فأفتتح دكاناً لصنع الساعات . وكان يوصى المتظاهرين ، المفتقرين للذخيرة ، باستخدام المسامير فى البنادق بدلا من الطلقات .

وعندما بلغت الجموع الميدان المواجه للباستيل ، وسمعوا أن الوفد الذى أرسل لمقابلة مدير السجن منذ الصباح ، لم يعد . ورأوا الجنود يحركون المدافع فوق سطح الباستيل . ظنوا ان فى الأمر خديعة . وأنها تصوب نحوهم . فأرسلوا وفداً ثانيا لمقابلة مدير السجن لوناى . وأصر الوفد الجديد على تسليم الحصن من دون ابطاء لميليشيا المدينة .

ثم تسلق بعض المتظاهرين الدكاكين الملاصقة لأسوار الباستيل ، وهبطوا فى فناء السجن الخارجى . وقد عثروا فى حجرات الحرس على فؤوس ومطارق . فأخذوا يحطمون بها المزالق التى ترفع الكوبرى ، الذى يمتد فوق القناة ، ويؤدى الى بوابة السجن الكبيرة . وكان الى يمينهم حجرات السجانين . ولكن الحجرات كانت خالية . وقد أعتصم لوناى وضباطه وجنوده ، الاثنين والثمانين ، والفصيلة المعززة له من الجنود السويسريين ، والبالغ عددها ٣٢ جندياً ، فى داخل السجن .

وهنا حضر جاك فليسيل مبعوثا عن بلدية باريس . وحاول ان يثنى المتظاهرين عن مهاجمة السجن . ولكنهم أعتدوا عليه . وقبضوا عليه . وقد قتلوه بعد ذلك .



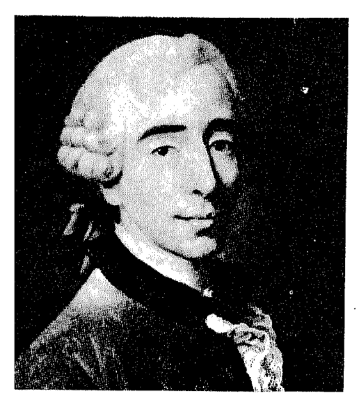
لويس السادس عشر



ماری انطوانیت



لافايت



بايلى

اجتماع ملعب التنس بفرساى لدافيد

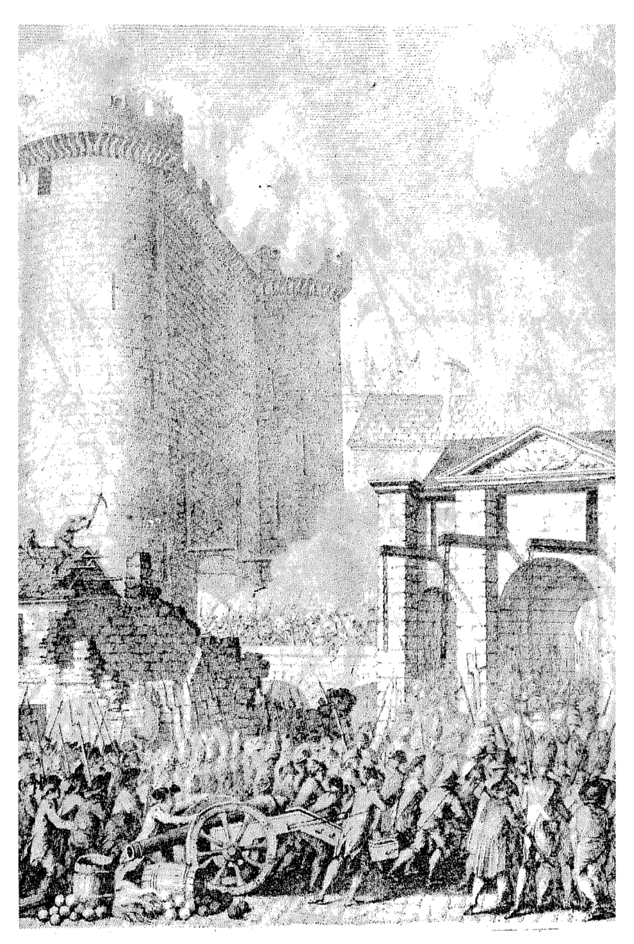


ديسمولان



سابيس

افتتاح مؤتمر القوى الثلاث



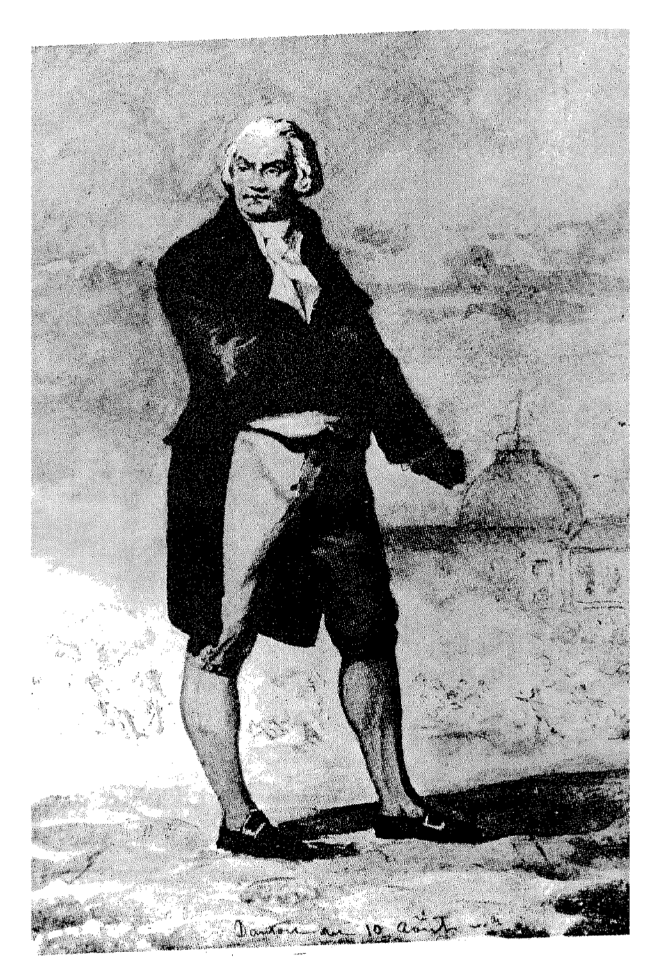
مهاجمة سجن الباستيل



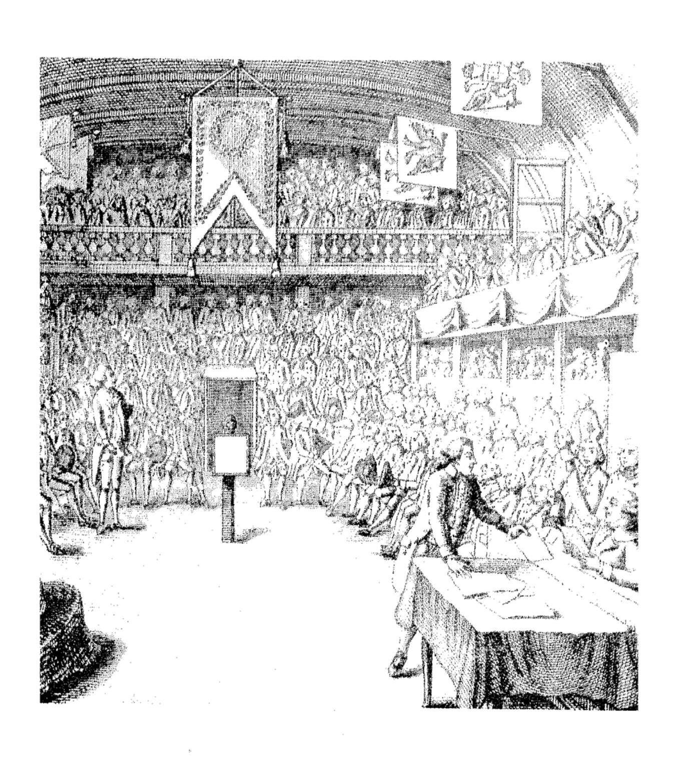
زحف نساء باريس على فرساى



ميرابوه



دانتون



محاكمة لويس السادس عشر

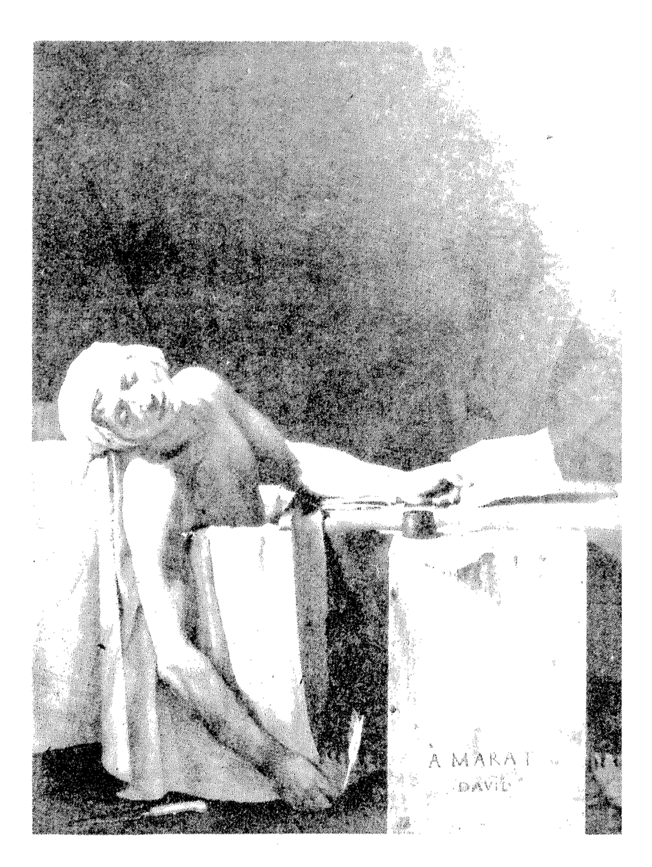


سانت يوست



بابيف

اعدام الملك



اغتيال ماراه لدافيد



نموذج لرجل وأمرأة من السان كيلوتيين

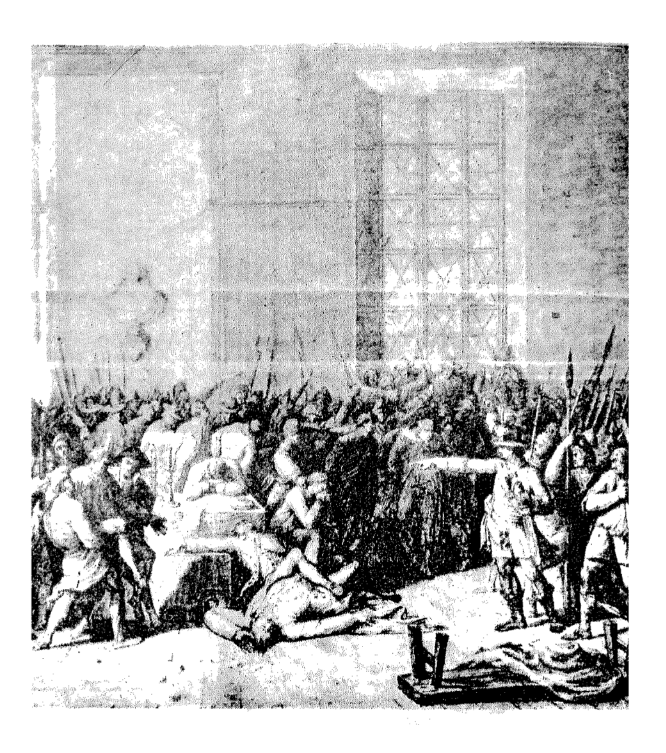


اسکتش دافید لروبسپیر

انعقاد المحكمة الثورية

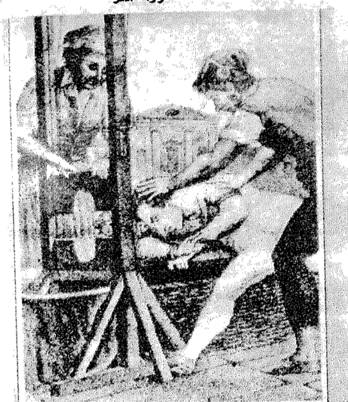


انقياد الجيرونديين للمقصلة



القبض على روبسبير

روبسپیر



اعدام روبسپیر

وكان تبادل النار بين المتظاهرين وجنود لوناى قد بدأ منذ الظهر . ثم أخذ الجنود فى استخدام مدافع السجن ضد كل من يحاول التقدم من الكوبرى الداخلى . ثم حضر يولان ومعه ٦٠ جندياً من المليشيا ، وحاول أن يتقدم الجنود المتظاهرين ، الذين حملوا معهم أربعة مدافع يحركها الملازم جاكوب ايلى . واستطاع الأخير أن يصوب مدافعه على روافع الكوبرى الداخلى ، حتى أوقعه .

وفى الساعة الخامسة بعد الظهر فتح لوناى باب السجن . وسلمه للمتظاهرين .

وقد اعتدى المتظاهرون بعد ذلك على لوناى وعدد من جنوده . ثم قتلوا لوناى ، وفصلوا رأسه عن جسده . كذلك فصلوا رأس فليسيل . وحملوهمافوق رمحين وطافوا بهما أنحاء باريس . وقد قدر عدد من قتل من المتظاهرين فى اقتحام الباستيل بثلاثة وثمانين رجلا . وعدد من جرح منهم بثلاثة وسبعين .

وبدأ ألف عامل منذ اليوم التالى ، ١٥ يوليه ، هدم السجن ، وتحويله الى الميدان الفسيح الذى يظهر عليه الآن .

انتقال الملك والجمعية الى باريس

وكان الملك لويس السادس عشر قد خرج للصيد طوال نهار ١٤ يوليه عام ١٧٨٩ . فلما عاد لقصره فى فرساى فى المساء ، كان متعباً ، وذهب من فوره للنوم . ولكن ياوره ، الدوق روشفوكو لا يانكور ، ذهب اليه فأيقظه . ونقل اليه الاخبار التى وصلته عن هجوم الباريسيين على الباستيل . وقد سأل الملك ياروه : أهى فتنة اذن ؟ . فأجابه الدوق فى هدوء : لاياسيدى . أنها ثورة ! .

وكان حزن الملك ويأسه مما جرى فى باريس كبيراً جداً . وقد اعتبر انه فقد العاصمة . ولكن مستشاريه أخذوا يطمئنونه حتى قرر الملك لويس السادس عشر أن يذهب بنفسه الى الجمعية الوطنية فى فرساى ، وأن يتحدث الى اعضائها .

وقد دعاها للاجتماع به . ولكن استقبالها له كان فاتراً .

وقد وعد الملك أعضاء الجمعية بسحب جميع جنود الجيش من باريس وفرساى . ولكنه لم يتحدث عن طرد بيرتوى ، واعادة نيكر لوزارة المالية . وكان هذا هو المطلب الأول لأعضاء الجمعية ولثوار باريس على السواء . وقد استقبل الاعضاء خطاب الملك لهم ببرود . واقتصرت هتافاتهم على المناداة بحياة الأمة الفرنسية ! .

ثم ذهب وفد من أعضاء الجمعية الوطنية فى فرساى الى باريس . واعلنوا للجماهير المتجمعة أمام الهوتيل ديه فيل أن جنود الجيش سينسحبون من باريس وفرساى . ولكن الجماهير الباريسية طالبت بطرد بيرتوى واعادة نيكر . ووافقت على اقامة كوميون باريس . وتعيين بايلى عمدة للمدينة . ولافاييت قائداً للحرس الوطنى فيها .

وعندما عاد وفد الجمعية الوطنية الى فرساى ، تقدم انطوان بارناف Barnave (١٧٩٣/١٧٦١) بطلب الى الجمعية ، أيده فيه ميرابوه ، يطالبون فيه بأعادة نيكر الى وزارة المالية .

وفى ١٦ يوليه عام ١٧٨٩ ، عقد الملك مجلساً لوزرائه ، أنضم له شقيقا الملك ، الكونتان بروفانس واراتوه ، والملكة مارى انطوانيت . وقد وجدت الملكة أن من الأوفق للأسرة المالكة كلها أن تنسحب الى ميتز ، فى شمال فرنسا ، وأن تنظم من هناك ثورة مضادة للثورة ، يساندها فيها حلفاؤها فى الخارج والداخل . ولكن الماريشال بروجلى حذر الملك من اتباع نصيحة الملكة . وقال له ان جنوده لن يستطيعوا التصدى لشعب باريس . وأن على الملك أن يجد طريقة لمهادنة الثورة والاتفاق مع الثوار . وعلى أثر هذا الاجتماع ، ترك الكونت ارتواه فرنسا مع أسرته وعاش لاجئاً فى خارجها .

وأما الملك ، فقد ذهب الى باريس ، برفقة مجموعة من حرسه ، وثلاثين عضواً من أعضاء الجمعية الوطنية . وخطب فى الجماهير المحتشدة أمام الهوتيل ديه فيل ، واعداً بتحقيق مطالبها . ثم أصدر ، فى ١٦ يوليه ، قراراً باعادة نيكر للوزارة . ووافق فى ٢٦ اغسطس على قانون الجمعية الوطنية باعلان حقوق الانسان والمواطن . وقد ذكر هذا الاعلان « ان الرجال يولدون ويستمرون متساويين فى الحقوق » .

لايتميز واحد منهم عن الآخر . ولايتمتع أحد منهم بامتيازات تزيد عما يتمتع به الآخر ، فى الحصول على مناصب الدولة أو غيرها .

وأكد الاعلان على حرية الرأى ، والتعبير عنها بالخطابة ، والكتابة ، وغيرها . وانه لايقبض على أحد أو يسجن من دون سبب قانونى . وأن العبودية محرمة . وأنه لاحقوق للنبلاء على الفلاحين أو غيرهم .

وفى ٤ أغسطس ، أقترح وفد مقاطعة بريتانى فى الجمعية الوطنية أن يتنازل النبلاء عن حقوقهم الارستقراطية . ولقيت هذه الدعوة استجابة سريعة . فوقف دوق داجيون ، وكان من أكبر وأغنى أولئك الارستقراطيين ، وأعلن تنازله عن جميع حقوقه . وكذا عن الدخل السنوى الذى كان يحصل عليه من فلاحيه ، والذى كان يجاوز ١٠٠٠٠٠ جنيه سنويا . ثم تبعه بقية النبلاء ورجال الدين ، فتنازل كل منهم عما يتمتع به من حقوق وامتيازات .

والحقيقة ان الدوق ، ومن تبعه من النبلاء ورجال الدين ، لم يكونوا سيخسرون شيئا . فان واقع الأمر أن هذه الحقوق كانت قد الغيت فعلا . وأن ثلاثين بيروقراطيا يمثلون الحكومة ، كانوا قد أخذوا يحكمون فرنسا ، وليس النبلاء . ولم يعد الفلاحون يدفعون شيئا من الاتاوات القديمة لنبلائهم .

ولكن عندما عرض هذا الأمر بعد ذلك على الملك ، لم يوافق عليه . وأعلن انه لن يقبل بأى حال من الأحوال أن يصفى نبلاءه بنفسه ! .

وفى أواخر سبتمبر عام ١٧٨٩ كانت فرقة جديدة من فرق الجيش ، هى فرقة الفلاندر ، قد جاءت الى فرساى لتحل محل الفرقة القديمة فيه . وأقيمت ، كما كانت العادة ، المآدب والاحتفالات فى استقبال الفرقة الجديدة ووداع الفرقة القديمة . وقد افرط المحتفلون فى حفل دار

الاوبرا ، فى أول أكتوبر ، فى الشراب . واخذوا يشتمون الجمعية الوطنية ، وأعضاءها . وينزعون عن صدورهم شارة الثورة المثلثة الألوان . ويستبدلون بها شارات بيضاء تمثل عائلة البوربون ، وزعتها عليهم بعض سيدات البلاط .

وحين وصلت أخبار الحفل الى باريس ، وكان اهلها يبحثون عبثا عن الخبز ، ثارت ثائرتهم . وأعلن ديسمولان أن الملك يجب أن يبتعد عن الجو المسموم فى فرساى . وأن على الباريسيين أن يذهبوا الى هناك ، وأن يحضروه ، هو وأعضاء جمعيته الى باريس .

وقد أخذت نساء بروليتارية باريس تتجمع امام الهوتيل ديه فيل منذ صباح ٥ أكتوبر . وكن يطالبن بالأسلحة . ولما فتشن المبنى ، ولم يعثرن فيه على شيء ، أخذن ينزعن أسلحة الحراس . ويسلمنها لرجالهن .

وعند الظهر ، خرجت ستة آلاف باريسية (وبعض الرجال المتزينين بلباس النساء وعلى رأسهم سانتير وميلارد) من باريس ، قاصدين فرساى . وكانوا يحملون الأسلحة والعصى والحراب والمناجل والسكاكين . وكان المطر ينهمر بشدة طوال الكيلومترات العشرين التى قطعوها اليها . ولكنهم لم يبالوا به . وقد سطوا على الدكاكين التى صادفوها فى طريقهم خلال اختراقهم باريس وسيفر . ثم بلغوا فرساى فى الخامسة بعد الظهر .

وكان الملك قد قضى نهاره فى الصيد . وعندما عاد الى فرساى ، وسمع باخبار زحف الباريسيات ، اجتمع مع وزرائه . وقد نصحه بعضهم بالفرار . وكررت الملكة تلك النصيحة له . ولكن نيكر عارضها . وأخذ لويس السادس عشر يردد : ملك هارب ؟ . ملك هارب ؟ ! .

وفى الساعة السابعة مساء ، دخلت نساء باريس قاعة الجمعية الوطنية فى فرساى . وطالبن بمقابلة الملك . وقد اختيرت منهن عشرون ، وافق الملك على مقابلتهن . فلما قدمن له ، سألهن عما يردن . فأجبنه : الخبز ! .فقال لهن لويس السادس عشر : انكن تعرفن طبيعتى . وسآمر فوراً بتسليمكن كل ما فى فرساى من خبز .

ولم تستطع السيدات الا أن يشكرنه . وخرجن من أمامه ، فرحات وسعيدات ! .

ولكنهن لما عدن الى بقية المتظاهرات ، اتهمهن هؤلاء بالخوف والممالأة ، وبأنهن لم يتصرفن مع الملك كما كان ينبغى .

ويقال ان دوق اورليانز (ابن عم الملك) كان قد بث جواسيسه من النساء والرجال بين هؤلاء النساء . وانه كان ينتقل وسطهن علانية فى فرساى ، ويصدر اليهن الأوامر ، ويوزع عليهن الأموال . وأن بعض هؤلاء المتظاهرات كن يهتفن خلال تظاهرهن بأسمه . والسبب فى هذا هو أنه كان يطمع فى أن يخلف الملك على عرش فرنسا .

وكان عدة مئات من رجال بروليتارية باريس ، قد تجمعوا بعد خروج الباريسيات ، امام الهوتيل ديه فيل . وطالبوا لافاييت بأن يقودهم الى فرساى . وتهددوه بالشنق ان لم يفعل ! .

وبعد نقاش طويل بين اعضاء كوميون باريس وهؤلاء المتظاهرين ، وافق الكوميون على أن يذهب لافاييت على رأس ۲۰۰۰۰ من الحرس الوطنى الى فرساى . وأن يعود بالملك الى باريس .

وقد بلغ لافاييت وحرسه فرساى فى الساعة الحادية عشرة مساء . وكان الملك قد أطمأن الى ماجرى بينه وبين وفد نساء باريس ، وذهب لينام . وقد حاول جنود لافاييت والمتظاهرون من الباريسيين

والباريسيات ، آن يشقوا طريقهم الى حجرات الملك والملكة فى قصر فرساى . وقد قتلوا بعض جنوده . وتوعدوا كل من وقف فى طريقهم . وتذبذبت الأمور فى فرساى ساعات . ثم وافق الملك فى صبيحة اليوم التالى ، ٦ أكتوبر ، على ان تعود الأسرة المالكة الى باريس .

وقد ترك الملك وأسرته فرساى ، عصر ذلك اليوم . فى موكب كبير يتقدمه جنود الحرس الوطنى . ويشترك فيه حرس الملك وجنود الفلاندر . « وكان الملك وسطهم كالسجين » . وقد أخذ الى الهوتيل ديه فيل كى يسمع الخطباء ينتقدوه ، ويقرعونه على اعماله ، قبل أن يسمحوا له ولأسرته بأن يأووا الى حجراتهم فى قصر التويلرى . وبعد أيام قليلة من انتقال الملك الى عاصمته ، انتقلت اليها أيضا الجمعية الوطنية . وكتب ديسمولان : « لقد انتهى الأمر . وبلغ الارستقراطيون آخر أنفاسهم . وانتصر الوطنيون » .

إعادة تنظيم الخيوط والمواقف

ولم تكن ثورة البورجوازية الفرنسية موجهة ، كما رأينا ، ضد الملك . وانما ضد الاقطاع . وقد حققت فى نهاية عام ١٧٨٩ أهم أغراضها . فتغلبت على مقاومة النبلاء . وجردتهم من امتيازاتهم وألقابهم . وجعلتهم يدفعون الضرائب . ويتساوون مع غيرهم من أبناء الشعب الفرنسي . ولكن هذه الثورة ، أفرزت ثورة جديدة . هى ثورة بروليتارية باريس والمدن الفرنسية الأخرى ، الذين أخذوا يفضون تحالفهم مع البورجوازيين الذين سيطروا على الجمعية الوطنية .

وقد فشل الملك فى الاستعانة بالجيش للقضاء على الثورة الجديدة . وحاول أعضاء الجمعية الوطنية ، بعد انتقالهم الى باريس ، أن يكبحوا جماحها . فأتخذوا اجراءات قوية لوقف ماعدوه تطرفاً . ولكن هذه القوة الجديدة ، بروليتارية باريس والمدن الفرنسية الأخرى ، كانوا قد أخذوا عن النبلاء الفرنسيين وسائل مقاومتهم للملك . ووعوا دور الصالونات والقهاوى والجمعيات ، والصحف والكتب والمنشورات ، فى تطوير ونشر أفكارهم .

وكان النواب البريتانيون قد أسسوا فى باريس ، منذ عام ١٧٨٩ « جمعية أصدقاء الدستور » . وقد ألتف حول هذه الجمعية أهم أجنحة

اليسار ، التى تولت قيادة بروليتارية باريس . ثم ضاق مكان هذه الجمعية بأعضائها . فنقلت اجتماعاتها الى دير قريب للرهبان الجيرونديين . وأخذت عن الدير أسمه . وبدأت تناقش القوانين والاقتراحات قبل عرضها على الجمعية الوطنية .

ويقول الكونت لامبث :

« كان الغرض من تأليف جمعية أصدقاء الدستور ، هو مناقشة المسائل التى تبحث ، أو ستبحث ، فى الجمعية الوطنية . اذ كان من المفيد لزعامة الحزب ، أن تتأكد ، من المناقشة والاقتراع المبدئيان داخل الجمعية ، من اتجاهات وآراء الاعضاء المختلفين . وقد اتضح بعد وقت قليل أن مكان الاجتماع لم يعد كافياً للحاضرين . فحصلنا على اذن بعقد اجتماعاتنا فى مكتبة الدير ، وبعد ذلك فى كنيسته . وعندما زارنا بعد ذلك مندوبو الجمعية فى المقاطعات الفرنسية ، لطمئنتنا على سير الأحوال ، وقضاء حاجاتهم المختلفة ، حضروا اجتماعاتنا . ثم عادوا الى مقاطعاتهم وألفوا جمعياتهم الخاصة بهم » .

ويعود الفضل لنادى الجاكوبيين ، فى استصدار سلسلة متصلة من القوانين ، التى جعلت الملك لويس السادس عشر ملكاً على الفرنسيين . وليس على فرنسا . وأممت ممتلكات الكنيسة . وأعادت تنظيم الحكومات المحلية . وحلت التنظيمات الدينية . وألغت الألقاب الموروثة . وجعلت لرجال الدين دستوراً مدنياً .

وكان ميرابوه يهتم ، على ماقال هو نفسه « بوقف اندفاع الثورة » . ويرى أن الصعوبة الكبرى بعد قيام أية ثورة « هى وقف اندفاعها » . وأن الخطر كل الخطر يكمن فى هذا الاندفاع .

وكان ميرابوه يحبذ قيام ملكية دستورية قوية « تتوازن » فيها قوة الملك مع قوة الجمعية الوطنية . وكان يقول :

« وأما عن الملكية ، فانني لم أشارك قط فى الخوف الذى يحمله أسم الملك للشعوب الحرة . فأنا لا أخاف الملكية . ولا أستنكف وجهها الوراثى ، الذى يحصر وراثة العرش فى أسرة واحدة » .

وقد حاول ميرابوه جهده أن يساعد الملك فى الجمعية الوطنية ، وأن يرسل له النصائح والرسائل السرية . ووجد فيه الملك حليفاً مخلصاً . ويقال أنه قد دفع له أموالاً كثيرة . وسدد عنه أكثر ديونه . ولكن الملك كان يكره ، على ماذكرنا « أخلاقه الفظيعة » . وعندما توفى ميرابوه فى ابريل عام ١٩٧١ ، صغيراً عن ٤١ عاماً ، فقد فيه الملك ، والملكية الدستورية فى فرنسا ، حليفاً قوياً ومؤثراً .

وكان سقوط سجن الباستيل ، وبعد ذلك فشل محاولة هروب الملك وأسرته ، التى سنتحدث عنها ، هى « نقطة اللاعودة » بالنسبة للملك وللملكية ، وللثورة الاجتماعية الجديدة التى قامت فى فرنسا . فان قوة بروليتارية باريس كانت قد أصبحت واضحة للعيان . وقد أحس النبلاء عند رؤيتها بالخطر الذى أصبح يتهددهم . فأخذوا يختارون بين البقاء فى فرنسا والانضمام الى الثوار (كما فعل تاليران ولافاييت) . وبين ترك فرنسا الى المنفى ، كما فعل أكثرهم .

وفى الحقيقة ، أن هذا الاختبار قد أكد فشل رؤية مونتسكيوه Montesquieu (١٦٨٩/١٧٥٥) فى الحكومة الارستقراطية الفاضلة . بل وآراء فولتير ، وأتباعه من الفيزيوقراطيين ، عن الطاغية المستبد .

* * *

ويلاحظ أن حالة الفلاحين الفرنسيين كانت قد أخذت تسوء بعد حصاد عام ١٧٨٨ السيء . وأنهم كانوا يلقون اللوم فى صعوبة أحوالهم على النبلاء ، والامتيازات التى يتمتعون بها . ويظنون أن الملك ليس سيئا ، وأنه يؤيدهم على النبلاء . وقد أخذ بعضهم ينتقم من النبلاء ، بمهاجمة قصورهم ، ونهب مايستطيعون من ممتلكاتهم . ويدمرون مكاتب الحكومة التى تحتفظ بسجلات الضرائب على أرضهم ، للتهرب من دفعها . فلما ذهب النبلاء ، وقضت الثورة البورجوازية على امتيازاتهم ، وظهرت خلال الأعوام التالية محاصيل زراعية وفيرة ، هدأت ثائرة الفلاحين . وانفضوا عن المشاركة فى الثورة .

وأما بروليتارية المدن ، وخصوصاً باريس ، فقد استمروا يلقون اللوم على الملك ومستشاريه . ويهاجمون مخازن الغلال والمخابز . ويطالبون بتحديد الأسعار ، وزيادة المرتبات . ولما لم تتحسن أحوالهم خلال الأعوام التالية ، وظهرت بين ظهرانيهم الجمعيات والكتابات والخطب التى تحدثنا عنها ، أخذوا ينحرفون الى اليسار بأكثر مما فعلت البورجوازية .

ويلاحظ أن هذه البورجوازية كانت قد أتبعت نصيحة ميرابوه ، وقصرت حق الترشيح والانتخاب ، فى الانتخابات العامة والمحلية ، على من يدفع نصاباً مالياً حددته . ولكن الزعماء الجاكوبيين ، وعلى رأسهم روبسبيير Robespiere (١٧٩٤/١٧٥٨) عارضوا هذا بشدة . وان اتفق ميرابوه وروبسبيير وبارناف على اعطاء الملك حق الفيتو على قرارات الجمعية . وتركوا له الخيار فى تعيين وزرائه « على ألا يكونوا من أعضاء الجمعية » . وعلى ألا يسمح للملك بأصدار القوانين ، أو حل الجمعية الوطنية .

وقد عممت الجمعية الوطنية أيضاً انتخاب القضاة . وقالت أن على جميع الفرنسيين أن يشاركوا فى انتخاب قضاتهم . ورأت أن تدفع لهم الدولة مرتباتهم . ونظمت الحكم المحلى . فجعلت فرنسا ٨٣ مقاطعة و ٣٧٤ كانتون و ٤٤٠٠٠ كوميون . وحددت حقوق وواجبات هذه الأقسام .

وكان رجال الدين فى فرنسا ، قد طلبوا الى بابا روما أن يسمح لهم بقبول الدستور المدنى ، وأداء القسم الذى حدده قانون يوليه عام ١٧٩٠ . وقد تردد البابا فى موقفه . حتى وقع لويس السادس عشر القانون . ثم عاد البابا ، فى مارس عام ١٧٩١ ، فرفض الدستور والقسم المدنيين . وقد أدى هذا الى اصدار الملك لبيان ، رجع فيه عن قراره السابق ، وأيد موقف البابا . وانقسم رجال الدين الفرنسيين ، ورعاياهم ، الى قسمين . قسم يقبل الدستور ولا يمانع فى أداء القسم . وقسم آخر يرفضهما .

وقد أثار هذا الموقف اضطرابات كبرى فى باريس بالذات . حيث كان الاتجاه العلمانى ، بالكتابة والخطابة ، وفى الصحف والكتب والمسارح ، قوياً . وقد حاولت الجمعية الوطنية أن تواجه الموقف بصدر رحب . فسمحت باستمرار رجال الدين الذين لم يؤدوا القسم فى وظائفهم . ودفعت لهم مرتباتهم . وتغاضت عن المطالبة بعزل رجال الدين الذين أيدوه عن مناصبهم ، رغم رفض مناطق كثيرة لهم . وأستمر الموقف معلقاً ، ولم ينته تماماً ، حتى وقع نابليون[×] مع بابا روما ، فى عام ١٨٠١ « الكونكورداه » التى حسمت الموقف لصالح فرنسا .

(×) أنظر كتابنا « نابليون بونابرت » فى هذه السلسلة .

رحلة الهروب الفاشلة

وكان الملك قد قدر ، فى بداية عام ١٧٩٠ ، أن نجمه سيعاود صعوده . وأنه سيستعيد شعبيته الأولى عند رعاياه . وقد ألقى خطاباً فى الجمعية الوطنية ، وعد فيه الأمة بأن يعمل لما فيه مصلحتها . وأن يربى ابنه « وفقاً لقواعد الملكية الدستورية التى أرستها » . وقد حيته الجمعية وقتها بالهتاف بأسمه ، وبالتصفيق له وقوفاً . وأرسلت مندوبيها لوداعه حتى أبواب قصر التويلرى .

ثم احتفلت البلاد فى استاد شامب ديه مارس ، فى ١٤ يوليه عام ١٧٩٠ ، بالعيد الفيدرالى الأول . فأقسم الملك ، أمام الجموع المحتشدة ، يمين الولاء للدستور الجديد . ورفعت الملكة ابنها ، ولى العهد ، أمام عيون الجماهير ، وهتفت : وأنا وابنى أيضاً نشارك فى هذه العواطف ! .

ولكن رفض الملك التصديق على بعض قرارات الجمعية الوطنية التالية ، وخصوصاً تلك القرارات الخاصة بتصفية النبلاء ، ودستور وقسم رجال الدين ، عاد يقوض شعبيته .

وكانت الاشاعات قد انتشرت ، بعد فرار شقيقه دوق ارتواه ، عن نيته هو أيضاً الفرار . فأوكل كوميون باريس حراسة القصر الى الحرس

الوطنى . ولاحق بعيونه السافرة ، وبجواسيسه المنبثين بين الحاشية ، حركات الملك . ومنع خروجه من القصر الا بصحبة ستة من الحراس الدائمين .

وفى يوم عيد الفصح من عام ١٧٩١ ، أراد الملك أن يأخذ أسرته لأداء الصلاة فى كنيسة سانت كلود ، بدلاً من كنيسة القصر . وكان راعى الكنيسة الأولى قد رفض الدستور المدنى ، ورفض أداء القسم المدنى . بينما كان راعى كنيسة القصر قد قبلهما . وقد شك الملك لهذا السبب ، فى جواز صحة صلوات القسيس الأخير ، وشرعية تقبله لاعترافاته واعترافات أعضاء أسرته ! .

وقد ركب الملك وأعضاء أسرته عربتهم وأتجهوا الى بوابة القصر . ولكن الحرس القائمين عليها رفضوا فتحها لهم . فقامت ضجة . وتجمع المتظاهرون . وحضر لافاييت وبايلى من كوميون باريس . وحاولوا اقناع المتظاهرين بفتح أبواب القصر لعربة الملك . ولكن هؤلاء رفضوا ذلك رفضاً باتاً . وأضطر الملك وأسرته للعودة الى القصر .

* * *

وكانت الكونت هانز اكزيل فون فيرسين Von Fersen (١٧٥٥/١٨١٠) قد اتفق مع الملك والملكة على أن يساعدهما على الفرار الى ميتز ، على الحدود الشمالية الشرقية لفرنسا . وكان الكونت فى السادسة والثلاثين من عمره . طويلاً وأنيقاً . وقد نشأ فى فرنسا . وحارب ضد انجلترا فى الولايات المتحدة الأمريكية . ثم عاد الى باريس مبعوثاً خاصاً لملك السويد لدى البلاط الفرنسى .

وكان الكونت فيرسين على صلات قوية بملكى فرنسا . وكان يسمى الملكة مارى انطوانيت بالملاك . ويقال أنه كان عشيقاً لها . وقد قدم

للملك كل ما يملكه من أموال . وكانت حوالى ٦٠٠٠٠٠ جنيه .
وأعد لهم عربة مقفلة « بيرلنيت » ذات أربع عجلات وتجرها ستة خيول . وتتميز باللونين الأصفر والأسود من الخارج ، والقطيفة البيضاء من الداخل .

وقد انتظرت العربة أمام أحد الأبواب الجانبية للقصر ليلة ٢٠ يونيه عام ١٧٩١ . وأرسل لها الملك طفليه ، ومربيتهما ، دوقة تورزيل ، منذ الساعة التاسعة مساء . ثم آوى الملك والملكة الى فراشهما ساعة ، لخداع العيون الكثيرة حولهما . ثم ذهبا الى العربة . كل من باب مختلف من أبواب القصر . وتحركت العربة بركابها ، يقودها الكونت فيرسين ، قبيل الساعة الحادية عشرة مساء . وكان الكونت قد أعد للركب تصريحاً للمرور باسم البارونة فون كورف (دوقة تورزيل) وركبها . وهم ابنتيها (وقد لبس ولى العهد ملابس البنات كشقيقته) وتابعها (الملك) ووصيفتها (الملكة) وسائقها (كونت فيرسين) .

وقد تركت العربة باريس من باب سان مارتين فى حوالى منتصف ليل ٢٠ يونيه . ثم ترك الكونت مكانه لسائقها . وقد بلغت شالون فى صبيحة اليوم التالى . وكان من المقرر أن ينتظرها هناك بعض جنود دوق مخلص للملكية ، هو شوازيل . ولكن العربة كانت جد بطيئة . ولم تتجاوز سرعتها ٢٠ كيلومتراً فى الساعة . وقد أنتظرهم جنود شوازيل فى الميعاد المحدد . فلما لم تصل ، انصرفوا . ظانين أن المحاولة قد ألغيت . وفى هذه الأثناء كان المسئولون فى قصر التويلرى قد اكتشفوا غياب الملك وأسرته . فأرسلوا المندوبين الى كافة أنحاء فرنسا للبحث عنهم .

وأما العربة ، فقد استبدلت خيولها فى شالون . ثم واصلت رحلتها الى بونت سوميفيل . فبلغتها فى الساعة السادسة مساء . وكان من المقرر أن

ينتظرها هناك أيضاً شوازيل وجنوده . ولكن هذا كان قد سمع من جنوده فى شالون أن العربة لم تصل اليها . فأنصرف . وفى بونت سوميفيل ، استبدلت العربة خيولها بخيول جديدة . ثم واصلت رحلتها الى سانت مينوهولد . وهناك كان من المقرر أن يقابلهم بعض فرسان شوازيل . ولكن قائدهم كان قد أنتظرهم طويلاً . ولما سمع أن العربة لم تصل الى بونت سوميفيل . سمح لفرسانه بالترجل والشراب فى أحد بارات المدينة . وقد دهش قائد الفرسان بعد ذلك ، حين رأى العربة قادمة نحوه . فوقف الى جانبها ، وأسر للملك أن المواعيد قد اختلفت . وأن أهالى المنطقة يشكون فيه . ويراقبونه . ويراقبون جنوده . إذ يظنون أنهم من جامعى الضرائب . ثم نصح الملك بمتابعة رحلته الى فارين .

وكان أهالى سانت مينوهولد الذين يراقبون قائد الفرسان ، قد لاحظوه وهو يقترب من العربة الغريبة ، ويتحدث همساً الى ركابها . وكانت أخبار هروب الملك قد بلغتهم . فذهبوا يبلغون شكوكهم لرجال الحرس الوطنى . وقد جرد هؤلاء الفرسان من أسلحتهم ، وأرسلوا بعض رجالهم خلف العربة التى كانت قد انطلقت باتجاه فارين .

وقد انضم لهؤلاء المتعقبين بعد ذلك أحد مندوبى باريس : درويه . وأتخذوا طريقاً فرعياً أقصر ، أوصلهم الى فارين قبل وصول العربة البطيئة اليها . وقد ذهبوا من فورهم الى عمدة المدينة ، الذى أعد الحرس الوطنى فيها لاستقبال العربة المشبوهة عند دخولها المدينة .

فلما وصلت عربة الملك ، خرج اليها العمدة ، صوص ، بفانوس مضاء . وطلب من سائقها أن يتوقف . ثم حاصرها رجال الحرس الوطنى ، وعلى رأسهم درويه .

وطالب العمدة ركاب العربة بأوراقهم . فسلمته « البارونة فون

كورف » تصريحها . وكاد العمدة يخدع ، ويسمح للعربة بمواصلة السير . ولكن درويه أفهمه أن هذا هو الملك . وهذه هى أسرته . وأنه اذا سمح لهم بمواصلة رحلتهم ، فسيصبح مسئولاً عما يفعل. وحينئذ فضل صوص أن يستشير أحد سكان المدينة ، من القضاة الذين عملوا طويلاً فى فرساى . فأرسل اليه كى يحضر لفحص ركاب العربة .

فلما حضر القاضى المتقاعد ديستاز ، تعرف من فوره على الملك والملكة . وانحنى يحييهما ! .

وقد حجز صوص ركاب العربة فى منزله حتى صباح اليوم التالى . ثم سلمهم للمندوبين الذين جاءوا من باريس . وبدأ الملك ورفاقه ، من فورهم ، رحلة العودة الى العاصمة الفرنسية . وكانت رحلة متعبة ، وقاسية ، ومهينة . فأن أهالى المناطق التى مروا بها كانوا يسخرون منهم . ويتوعدونهم . ويبصقون فى ناحيتهم ! .

وعندما دخلوا باريس ، كان أهلها قد تجمعوا صامتين لمشاهدتهم . فان كوميون باريس كان قد أقام فى أنحاء المدينة لافتات كبيرة تقول : ان من يهتف باسم الملك سيجلد ، ومن يسخر منه سيشنق ! .

وعند قصر التويلرى ، كان مندوبو الكوميون بانتظاره . فألقوا الخطب فى تقريعه . وأعلنوه أنه قد أوقف عن مزاولة سلطاته .

وكانت قد مرت خمسة أيام على مبارحة الملك وأسرته للقصر . وقد عاد اليه ، بغد فشل رحلته ، متعباً ، وحزيناً ، ويائساً

الجيرونديون : أبناء الثورة الشرعيون

وقد أدت محاولة هروب الملك الى انقسام الملكيين على أنفسهم . فمن ناحية ، حاول بعض الملكيين الأيهام بأن الملك لم يهرب . وانما هو قد اختطف ! . ومن ناحية أخرى أتجه أنصاره ، وجلهم من طبقة البورجوازية الفرنسية ، الى تأليف مجموعة سياسية جديدة هى مجموعة الفويانتيين Feuillants . كان من أهم زعمائها بايلى ، وبارناف ، وديبور ، السابق الاشارة اليهم .

وأما أبناء البروليتاريا الفرنسية ، وكان أكثرهم محروماً من الانتخاب أو الترشيح ، لعدم استيفائهم شرط الحد الأدنى من الضرائب ، فقد ألتفوا حول نادى الكورديليه Cordelier بشارع دوفين . وكان نادياً شعبياً ، ضئيل الاشتراك ، ويجاهر بمعارضة الطغيان . وكان من أهم مؤسسيه لويس ليجاندر Legendre (١٧٥٢/١٧٩٧) الضخم والجهورى الصوت .

وقد نافس هذه المجموعة بعد ذلك ، السان كيلوتيين Sans culottes . وهى فى ظن أكثر المؤرخين تحالف من العمال ، وصغار المهنيين والتجار والكتبة . وليست طبقة سياسية متجانسة . وكان أكثرهم جاهلاً . واتجاههم نحو فهم المسائل السياسية والاقتصادية عامى وبسيط . ولهذا كان من السهل اثارتهم وخداعهم .

وكان السان كيلوتيين ينادون بعضهم البعض بأسم المواطن . ويلبسون البنطلونات الطويلة والواسعة ، من دون البنطلونات الارستقراطية الضيقة والتى تربط حمالاتها عند الركبة .

ولا يعنى هذا أن السان كيلوتيين قد خلوا تماماً من المثقفين والثوريين . أو أن بعضهم لم يكن من متوسطى الحال . ولكن أحاسيسهم كانت أحاسيس الفقراء . وقد كانوا يسيئون الظن بالثروة والالقاب . ويشكون الغلاء . ويطالبون بتحديد الاسعار .

وقد وصف جيروم بيتيون Petion (١٧٥٦/١٧٩٤) السان كيلوتيين بأنهم هؤلاء « الذين لا يملكون شيئا ، بالمقارنة الى الذين يملكون كل شيء » . وقد تزعمهم ساقى فوبورج سانت انطوان ، الذى قاد الهجوم على الباستيل : سانتير . والكاتب الثورى الذى سبقت الاشارة اليه ديسمولان .

وفى فبراير عام ١٩٧١ ، سار نحو آلف من عمال ضاحية فوبورج سان انطوان ، بتشجيع من نادى الكورديليه ، وبقيادة غير متحمسة من سانتير ، الى سجن فينسين . وكانوا يريدون التخلص ممن فيه من سجناء سياسيين . ولكن لافاييت لحقهم على رأس مجموعة كبيرة من رجال الحرس الوطنى . فأهان سانتير أمام زملائه . وقبض على ستين من زعماء المسيرة .

وفى عصر ١٧ يوليه ، تجمعت فى شامب ديه مارس أعداد كبيرة من بروليتارية باريس . وأخذوا يوقعون على عريضة شعبية ، يطالبون فيها الجمعية الوطنية باقصاء الملك واعلان الجمهورية . وقد شك المتجمعون فى اثنين كانا يختبئان تحت المنصة التى أقاموها للتوقيع على عرائضهم . وظنوهما من الجواسيس . وقاموا من فورهم بشنقهما ! .

وعندما وصلت أخبار هذه الأحداث للهوتيل ديه فيل ، أعلن بايلى ولافاييت الطوارىء . وقاما على رأس عدة آلاف من الحرس الوطنى الى شامب ديه مارس ، لمحاولة تفريق المتجمعين فيه . ولكن هؤلاء المتجمعين أخذوا فى الهتاف بسقوطهم . ثم قذفوهم بالحجارة . فأمر لافاييت باطلاق النار فى الهواء . وقد تفرق المتظاهرون . ثم عادوا فتجمعوا . وهاجموا جنود الحرس مرة أخرى بالحجارة . فأمر لافاييت جنوده باطلاق النار عليهم . وقد قتل منهم خمسون ! .

وقد أدت هذه الحادثة الى عزل بايلى عن عمدية باريس . فخلفه فيها بيتيون السابق الاشارة اليه . والى انفضاض شعبية لافاييت بين بروليتارية باريس .

وجدير بالذكر أن بايلى قد ترك باريس بعد ذلك الى الريف . وأخذ فى كتابة مذكراته . ولكنه أحضر اليها بعد شهور . وقتل بالجيلوتين ! .

وقد أدت حادثتى سجن فينسين ومذبحة شامب ديه مارس ، الى اكتمال انشقاق بروليتارية باريس عن البورجوازية الفرنسية المسيطرة على الهوتيل ديه فيل والجمعية الوطنية . ومع أن الأخيرين قد حاولوا القبض على زعماء هذه البروليتاريا . فأن أهم زعمائها ، كديسمولان وسانتير ، أختفوا عن الانظار .

* * *

وكانت الجمعية الوطنية قد انتهت من وضع الدستور الجديد . وقد قبله الملك . وأعيد الى ممارسة سلطاته منذ ١٤ سبتمبر عام ١٧٩١ . ثم أنحلت الجمعية الوطنية . وتأهبت البلاد لانتخابات جديدة . وكان قد أتفق على ألا يرشح الاعضاء السابقون فى الجمعية الوطنية أنفسهم فيها . وجدير بالذكر أن الدستور الجديد لم يعمل به إلا قرابة عام واحد . وأن الثورة قد

أتجهت ، منذ قيام الجمعية التشريعية الجديدة ، اتجاهاً مختلفاً تماماً عن اتجاهها قبله . أصبح معه أكثر أعضاء الجمعية الوطنية السابقة من المرتدين عن مبادىء الجمعية التشريعية الجديدة .

وقد انعقدت الجمعية التشريعية الجديدة فى أول أكتوبر عام ١٧٩١ . وكان أغلب أعضائها من الطبقة المتوسطة . وأكثرهم من الملكيين الدستوريين الذين يريدون حفظ مكاسب الثورة ، ووقف اندفاعها لليسار . وقد تألف جناحهم الأيمن من الأعضاء الفويانتيين . وجناحهم الأيسر من أعضاء نادى الكورديليه ، وبقية الجاكوبيين المتطرفين . وقد ألف هؤلاء بعد ذلك حزب الجيرونديين Girondin الذى أخذ أسمه من مقاطعة جيروند ، التى جاء منها أكثر زعمائه . وفى ظن المؤرخ الفرنسى لامارتين ، أن الجيرونديين هم أبناء الثورة الفرنسية الشرعيون .

وقد قاد الجيرونديون بيير فيرنيوه Vergniand (١٧٩٣/١٧٥٣) ومرجريت ايلى جوديه Gaudet (١٧٩٤/١٧٥٨) وفرانسوا بيزوه Buzot (١٧٩٤/١٧٤٨) . وكان أقدرهم على الخطابة فيرنيوه ، الذى أنتخب رئيساً للجمعية التشريعية .

وجدير بالذكر أن الفوينتيين فى الجمعية الجديدة ، قد جلسوا الى يمين رئيسها ، فأطلق عليهم اسم اليمين . وأن الجيرونديين قد جلسوا الى يساره ، فأطلق عليهم اسم اليسار . وانتقل هذا التقليد بعد ذلك الى جمعيات وبرلمانات العالم .

وقد أثر فى الجيرونديين والكورديليين على وجه الخصوص ثلاثة من الكتاب الثوار . هم جاك رينيه هيبير Hebert (١٧٩٤/١٧٥٧) وجين بول ماراه Marat (١٧٩٣/١٧٤٣) وجـاك بريسوه Brissot (١٧٩٣/١٧٥٤) .

وبريسوه قد أثروا أيضاً ، وبشدة ، فى السان كيلوتيين . هذا رغم أن الجيرونديين كانوا يسيئون الظن بالسان كيلوتيين . ويرون أن الجاكوبيين يستغلونهم فى بلوغ أغراضهم الشخصية ، وأقامة ديكتاتورية باريسية ، تفرض سيطرتها على المقاطعات الفرنسية الأخرى .

وكان الفوينتيون يخشون الحرب مع الدول الأوروبية ، ويعارضونها . وكان يشاركهم هذا الرأى بعض الجيرونديين . ولكن أكثر الجيرونديين كانوا يؤيدونها . ويرون فيها ، على ماذكر ماراه ، مخرجاً من الأزمات التى وقعت فيها الأمة الفرنسية . وكانت هذه هى أيضاً وجهة نظر الملكة ، مارى انطوانيت ، وشقيقى الملك بالخارج . وان كانت أسباب كل منهم فى اعتقاده مختلفة .

فالملكة مثلاً ، كانت تظن أن الملك قد تورط مع الثوار تورطاً كبيراً . بحيث لم يعد ممكناً أن تعود الأمور الى ما كانت عليه إلا بالحرب . وهزيمة جيوش فرنسا أمام الجيوش النمساوية والبروسية التى أخذت تعد لمهاجمتها . ثم التخلص من الثوار ، واعادة الملكية بصورتها الكاملة الى فرنسا .

وقد طالب الزعيم الجيروندى فيرنيوه ، بأن تهاجم فرنسا أعداءها أولاً . وقال زميله بريسوه : ان ضرب الارستقراطية ورجال الدين الرجعيين ، المتجمعين مع أعداء فرنسا عند كوبلنز ، سيؤدى الى نصر فى خارج البلاد ، ثم نصر فى داخل البلاد .

وكان الامبراطور ليوبولد ، والد مارى انطوانيت ، متردداً فى دخول الحرب . وقد أصدر مع ملك بروسيا ، فى اغسطس عام ١٧٩١ ، اعلان

بيلنيتز . الذى يؤيدان فيه الملكية الفرنسية ، ويعتذران عن التدخل فى شئون فرنسا .

ولكن عندما توفى ليوبولد ، فى مارس عام ١٧٩٢ ، وتولى ابنه فرانسيس الثانى امبراطورية النمسا ، حبذ التدخل . ومحاربة فرنسا .

وقد تبعثرت قوة الفوينتيين ، بقتل بايلى . ثم ذهاب بارناف الى جرينوبل . والقبض على أدريان ديبور . وأخذت الأمور فى أوروبا تتحرك ، نحو حرب محتومة . فان وزير الحرب الفرنسى ، الكونت ديه ناربون كان يؤيدها . والمركيز كوندورسيه du Condorect (١٧٩٤/١٧٤٣) الذى كان يعارضها ، أصبح يرى فيها مخرجاً للحالة الاقتصادية المتدهورة . وعلى ماقالت مدام رولان : أن الأمة بالحرب ، والحرب وحدها ، ستتطهر . وفى النهاية ، دفع بريسوه ، وبقية الجيرونديين ، الجمعية التشريعية الى تأييد الحرب .

ولكن عندما طرد الملك ناربون ، فى مارس عام ١٧٩٢ ، ثارت ثائرة الجيرونديين فى الجمعية التشريعية . حتى أعلن فيرنيوه :

« ان رائحة الارهاب والجشع تفوحان من قصر التويلرى . ولكن ليعلم ساكنوه أن كلمة القانون ستظل هى الكلمة العليا . وأن الملك ليس فوق القانون . وأن يد القانون ستطول كل من يتطاول عليه . ولن تفلت رأس واحدة مذنبة من الحد الناصع » .

وقد تبع هجوم الجمعية على الملك ، استقالة جميع الوزراء . وعينت الجمعية وزراء يساريين كى يخلفونهم . ولم يكن من بينهم ، كما ينص الدستور أحد من أعضائها . وقد عين شارل ديمورييه Dumouriex (١٨٢٣/١٧٣٩) للخارجيـــــــــــــــة . وجين رولان

للداخلية . ووجدت زوجته ، مدام رولان ، Roland(١٧٩٣/١٧٣٤) في هذا فرصتها كي توسع نفوذها في داخل الوزارة ، وتزيد من أهمية صالونها الشهير .

ثم وقف الملك في الجمعية التشريعية بعد ذلك بأسابيع ، وأعلن الحرب على النمسا . وأستقبله أعضاء الجمعية بالهتاف بحياته . وسرعان ما دخلت بروسيا هي أيضاً الحرب ضد فرنسا . وكان عدد أفراد الجيش الفرنسي المواجه للقوات النمساوية والبروسية والنبلاء المهاجرين لا يتجاوز ١٤٠٠٠٠ جندي . ينقصهم النظام والأسلحة والذخائر . وكان أكثر من ٦٠ بالمائة من ضباطه قد تركوه منذ قيام الثورة . وأخبار العصيان ، ورفض تنفيذ الأوامر ، والثورة على الضباط ، من الأخبار اليومية التي تتناقلها باريس . وقد أثار هذا يأس الضباط . حتى ترك لافاييت ميدان القتال ، وعاد الى باريس .

ويقال أن لافاييت قد عاد لباريس ، للاعداد لانقلاب عسكري . ولكنه لم ينجح فيه . ولو نجح ، لأقام دكتاتورية عسكرية ، وسبق الى القيام بدور نابليون التالي ، بعد ذلك بسنوات . ولكن لافاييت كانت تنقصه واقعية ، وربما عبقرية ، نابليون . وكان يحب أن يكون كريماً مع الجميع . ومحبوباً من الجميع . ولكن الكثيرين عارضوه . ورأى فيه روبسبيير صورة كرومويل(X) الانجليزي . وقال عنه :

« انني أفضل أن أرى مجلساً نيابياً شعبياً ، وأرى أفراد الشعب معززين ومكرمين ، تحت لواء ملك ، عن أن أراهم مستعبدين ،

(X) أنظر كتابنا « كرومويل » في هذه السلسلة .

مؤثرة . ويحرضون الأقسام الباريسية الثمانية والأربعين على السماح للمواطنين « السلبيين » أى الذين لا يدفعون الحد الأدنى من الضرائب ، بحضور الاجتماعات السياسية وحمل الأسلحة . وقد أدت هذه الخطوة ، مع تجنيد الفرنسيين من دون تمييز فى الحرب ، ودخول جنود المقاطعات الفرنسية الى باريس ، الى نزع السلطة من الهوتيل ديه فيل والجمعية التشريعية ، وتركيزها فى أيدى السان كيلوتيين .

وقد حدد السان كيلوتيين يوم العيد الثالث لقسم ملعب التنس ، ٢٠ يونيه عام ١٧٩٢ ، موعداً للتظاهر ضد الملك . وفى اليوم المحدد ، خرج ثمانية آلاف منهم ، ومعهم أعداد كبيرة من الحرس الوطنى الى الشوارع . وقد أقتحموا أبواب الجمعية التشريعية ، وصاحوا فى رئيسها ، فيرنيوه : أن لنا مطالب نحب أن نعرضها ! .

ولكن فيرنيوه وضع قبعته على رأسه ، وأمرهم بالخروج ! . فخرجوا ! . ثم عاد فسمح لوفد منهم بعرض مطالبهم . فتقدم منه سانتير ، وقدم له علم الثورة الثلاثى الألوان . ثم قال له أن أهالى باريس يطالبون الملك بتوقيع القوانين المعطلة ، واعادة الوزراء الوطنيين الى الوزارة .

ثم خرج سانتير ورفاقه من مبنى الجمعية التشريعية . وتوجهوا الى قصر التويلرى . وأخذوا يهتفون ضد الملك : « يسقط الفيتو » . و « يجب توقيع القوانين » . و « أعد الوزراء الوطنيين الى الوزارة » .

وكانت الساعة قد بلغت الرابعة بعد الظهر . وكان يحيط بالمتظاهرين جنود كثيرون . ولكن أحداً منهم لم يتدخل ، أو يعترض ، على شيء مما فعلوه . ثم تمكن المتظاهرون من دخول القصر من أحد أبوابه الجانبية . وأقتحموا قاعاته وغرفه الكثيرة . وأقتلعوا فى طريقهم الأبواب المغلقة التى صادفوها . وأعتدوا على من لاقوه فى طريقهم . وفى النهاية وجدوا أنفسهم

أمام الملك ! .

وقد وقف أمامهم وحيداً وهادئاً . وقال لهم : هاأنذا ! . وقد أوقفوه على أحد مناضد القصر . وقرأ عليه ليجاندر احدى الشكاوى التى حملها .

وكان حراس الملك قد أسرعوا بالالتفاف حوله . بينما المتظاهرون يهتفون : لافيتو . وقع القوانين . أعد الوزراء الوطنيين . عاشت الأمة الفرنسية .

وقد رد عليهم الملك : نعم . عاشت الامة الفرنسية . فليس لهذه الأمة صديق أفضل منى .

فعلت صيحات المتظاهرين : اذن أثبت لنا هذا .

وسلمه أحد المتظاهرين غطاء رأس أحمر . وطالبه بأن يضعه على رأسه . وكان الجيرونديون قد أخذوا يلبسون هذا الغطاء الأحمر ، دلالة على ثوريتهم . فوضع الملك الغطاء على مؤخر رأسه ، اذ كان صغيراً .

وفتح آخر زجاجة للنبيذ ، وطالبه بأن يشرب نخب زواره . وحمل الملك الزجاجة الى فمه ، وقال : ياشعب باريس . اننى أشرب فى صحتكم ، وفى صحة الأمة الفرنسية . ثم شرب رشفة من الزجاجة .

وهنا كان بيتيون ، وبعض رجال الهوتيل ديه فيل ، قد حضروا الى القصر . وتحدثوا الى المتظاهرين ، وصرفوهم عن القصر .

ثم اعتذر بيتيون للملك . وجلس هذا منهكا على أحد الكراسى . ثم أمسك بالقبعة الحمراء ، فألقاها على الأرض ، وداسها بأقدامه ! .

* * *

وكان ٤٧ من أقسام باريس الثمانية والأربعين ، قد قرروا تنحية

الملك . والتظاهر مرة اخرى أمام الجمعية التشريعية وقصر التويلرى . وفى ٦ أغسطس ، تجمعت أعداد كبيرة منهم ، فى شامب ديه مارس ، بقيادة الجاكوبيين . وأخذت تطالب بخلع الملك . وأستمرت القلاقل حتى ٩ أغسطس ، حين تجمع المتظاهرون أمام الهوتيل ديه فيل . وأعلنوا حل الكوميون . وتأليف لجنة ثورية لادارته . ولما عارضهم قائد الحرس الوطنى ، شنقوه . وأحلوا زعيمهم سانتير محله فى قيادته .

وفى صباح اليوم التالى ، زحف ٢٠٠٠٠ متظاهر على قصر التويلرى . ولم يكن يحرسه غير ٩٠٠ من الحراس السويسريين و٢٠٠٠ من الحرس الوطنى . ولكن الأخيرين انضموا بسرعة الى المتظاهرين . وقد حاول الملك أن يبعث الحماسة فى نفوس حراسه ، وربما يقضى على ثورة المتظاهرين ، بالظهور أمامهم والحديث الى بعضهم .

ولكنه لما لم يجد فى هذا بادرة أمل ، أتجه عبر حدائق التويلرى ، ومعه الملكة وأطفالهما ، الى مبنى الجمعية التشريعية . وقال الملك لرئيسها فيرنيوه :

« انني أجيء اليكم لأمنع جريمة كبرى . وأظن انني لن أجد مكاناً أسلم لى ولأسرتى من أن أكون وسطكم » .

وقد وعده فيرنيوه بحمايته . وأجلسه الى جانبه . ولكن أحد النواب الكورديليين أحتج على جلوس الملك الى جانب رئيس المجلس . وقال ان هذا ربما أثر على آراء الأعضاء المتكلمين . فأنتقل الملك وأسرته الى ركن فى القاعة كان مخصصاً للنساخ .

ولم يكد الملك يجلس فى مكانه الجديد ، حتى ترامت الى أسماعه أصوات طلقات المدافع والرصاص ، من ناحية القصر . فأرسل مندوباً عنه يبلغ الحرس السويسرى رجاءه لهم بعدم المقاومة . ولكن المقاومة

أستمرت بعد ذلك فترة . وقد قتل من هذا الحرس ثلثاه : أى ستمائة جندى . وقتل من خادمات وخدم وسعاة وطهاة القصر عدد كبير . وقد ملأت جثثهم الحجرات . وألقيت بعضها من النوافذ . ومثل بالكثير منها . وقد دمر المتظاهرون ، ونهبوا ، أكثر حجرات القصر ونفائسه . وقدر عدد من قتل من مواطنى باريس فى هذه الحوادث بحوالى ٣٠٠ . ومن جنود المقاطعات الفرنسية بحوالى ٩٠ .

ثم أخذت الجمعية التشريعية تبحث مصير الملك . ولكن بعض المتظاهرين العائدين من قصر التويلرى . اقتحموا اجتماعها . وطالبوا أعضاءها بأن يقسموا بأسم الأمة « أن يحافظوا على الحريات والمساواة بكل مافى وسعكم ، أو تموتوا فى سبيل هذا » . وقد أقسم الأعضاء جميعاً على هذا القسم .

وعندما حل الليل ، توقف اجتماع الجمعية . وقضى الملك ليلته مع أسرته فى حجرات قريبة . ثم عادوا جميعاً الى قاعة الجمعية فى صباح اليوم التالى ، لمعاودة بحث مصيره .

وقد انتهت مناقشات الجمعية فى المساء . فأوقف الملك عن سلطاته . وأوكلتها الجمعية إلى لجنة من ستة وزراء ، طلبت اليهم توقيع القوانين التى كان الملك قد رفض توقيعها .

ثم دعت الجمعية الى انتخابات جديدة شارك فيها جميع الفرنسيين ، من دون اشتراط نصاب ضرائبى محدد . وأمرت بالقبض على بعض أعضائها اليمينيين ، وأودعتهم السجن . ثم أجرت تعديلاً وزارياً ، دخل بمقتضاه بعض الجيرونديين ، ومن بينهم جورج جاك دانتون Danton (١٧٩٤/١٧٥٩) الى الوزارة . وكان لافاييت قد عبر الحدود الى بلجيكا . وانضم الى جيش برونزيك المهاجم لبلاده . وفى ٢٢ أغسطس

احتل هذا الجيش لونجوى . وفى ٢ سبتمبر فيردان . وأصبح الطريق الى باريس أمامه مفتوحاً .

* * *

وكان دانتون قد ولد فى عائلة متوسطة الحال ، فى مدينة صغيرة قرب رايمز ، فى شرق فرنسا . ثم توفى والده وهو فى الثالثة . وذهب ليعيش مع جده فى مزرعة قريبة . وقد انخرط دانتون فى هذه الحياة الجديدة ، وحمل علامات مغامراته مع الثيران والخنازير على وجهه بقية حياته : شفة مشقوقة ، وأنف مكسور ، وجروح على الوجه . أضاف اليها بعد ذلك الجدرى آثاره .

وقد درس دانتون المحاسبة فى رايمز . وقرأ كتب روسو(×) وفولتير . ولبعض المؤلفين الانجليز . ثم ذهب الى باريس وهو فى الحادية والعشرين من عمره . فعمل فى مكتب للمحاماة . وتزوج من فتاة غنية ، يمتلك والدها مطعماً . ثم اشترى مكتب المحاماة الذى عمل فيه . وأثث شقة فاخرة فى شارع كورديليه . وأصبح ، وهو فى السابعة والعشرين من عمره ، مع زوجته وابنيه ، على أبواب حياة مشرقة وسعيدة .

ثم جاءت الثورة . وأحس دانتون أن المجتمع الفرنسى فى طريقه للتغيير . وأن الحياة لن تصبح على ماكانت عليه . فأغلق مكتبه . وأشترك بكل ثقله فى الحياة الجديدة .

وأخذ يساهم ، بصوته الخشن والمرتفع ، فى المناقشات التى تجرى فى قهوة روكوب . ثم فى الشوارع والميادين . ثم فى نادى الكورديليه . وقد انتخب قائداً لفصيلة النادى فى الحرس الوطنى . وحصل فى عام ١٧٩١

(×) انظر كتابنا « روسو » فى هذه السلسلة .

على منصب صغير فى كوميون باريس .

وكان دانتون واقعياً . وأحياناً سوقياً . وقد أتهم بالعمل لدوق أورليانز . وبعد ذلك للملك . وقيل انه كان يرى أن الثورة معركة . « ومن حق من فاز بها أن يشارك فى غنائمها ، فيعيش فى أفخر القصور ، ويأكل أفضل الطعام ، ويحصل على المال والرياش والنساء » ! . وقيل انه ليلة الهجوم على قصر التويلرى ، ترك باريس ، وذهب الى مقاطعة شمبانيا (حيث كان قد اشترى ضيعة هناك) وأعد لفشل الثورة ! .

وقد اعتبر المؤرخ الفرنسى أولار ، دانتون هو البطل الحقيقى للثورة الفرنسية .

اعدام الملك لويس السادس عشر

وقد أنهى هروب لافاييت دور الفويانت فى السياسة الفرنسية ، وقيادة النبلاء الفرنسيين للجيش . وأنحصر الصراع فى الانتخابات للمجلس النيابى الجديد ، الكونفنسيون Convention بين الجيروندين والجاكوبيين . وأما شوارع باريس ، وكوميونها ، وأقسامها ، فقد سيطر عليها كلها السان كيلوتيين . وقد مالئهم الجاكوبيين . وأحسنوا استغلالهم . ونزلوا فى كثير من الأوقات على رغباتهم .

وكان فى باريس احساس عام بضرورة تخليص الجيش من الخونة . وتطهير البلاد من آثارهم . بالقضاء على المسجونين السياسيين . وقد أقيم فى كل قسم من أقسام العاصمة لجنة خاصة للمراقبة . ومنع انتقال الأفراد . وألغيت التصريحات والجوازات . وقبض على آلاف المشبوهين . وطالب دانتون الشعب بأن يقف لأعدائه « يداً واحدة » . وأن يذهب جميع الرجال القادرون الى الحرب . وأن يفتش الحرس الوطنى جميع المنازل ، بحثاً عن الهاربين والأسلحة .

وردد ماراه وهيبير فى صحيفتيهما ضرورة التخلص من المسجونين السياسيين . وقالا أن السجون قد أصبحت مزدحمة . وأن سجانيها فاسدون ومرتشون . وأنهم يسهلون الهرب منها لمن يدفع لهم من

المسجونين . ثم يشترى هؤلاء الأوراق المزورة ، التى يتركون بها فرنسا الى خارجها .

وكتب ماراه : « لينساب دم الخونة ، فهذه هى الطريقة الوحيدة لانقاذ فرنسا » ! .

وفى صباح ٢ سبتمبر ، كان جنود المقاطعات ينقلون الى سجن لاباى مجموعة كبيرة من رجال الدين فى ست عربات مكشوفة . فهاجم السان كيلوتيين فى شارعى دوفين وكارفور بوسى هؤلاء المسجونين . وقضوا عليهم قبل دخولهم السجن . ثم ذهبوا الى دير كارميليت فى شارع فوجيرارد . وقتلوا حوالى ١٥٠ مسجوناً آخر من رجال الدين .

وقد أستمرت « مذبحة السجون » هذه قائمة طوال الأيام الخمسة التالية . وشملت جميع سجون باريس ، ماعدا سجنى سانت بيلاجى الذى كان مخصصاً للمدنيين ، وسان لازار الذى كان مخصصاً للعاهرات . وقد قدر عدد من قتل فى هذه المذبحة بحوالى نصف نزلاء السجون الباريسية . أى حوالى ١٢٠٠ سجين . بينهم ٣٧ امرأة . وعرف المشتركون فيهم بأسم السبتمبريون .

وقد قدر عدد زعماء السبتمبريين بحوالى ١٠٠ الى ٢٠٠ شخص . بعضهم من الثوار ، والبعض الآخر من المجرمين الذين أستعان بهم الثوار . وذكر أنهم كانوا مؤجرين لهذا العمل عن طريق كوميون باريس ، الذى دفع لكل منهم « ٢٤ جنيهاً » على مساهمته فيه .

ولكن هذا الرأى يكذبه آخرون . ويرون أن السبتمبريون قد اندفعوا فى عملهم تلقائياً ، وبدافع ثورى ، وباعتبار أنه خدمة يؤدونها للبلاد . وقد تفاخر بعضهم بعمله بعد ذلك . ونسجوا الروايات عن أفعالهم . ولكن عندما تحول الرأى العام الفرنسى الى استنكار ماحدث خلال أيام

« المذبحة » عادوا فأنكروا ! .

وقد انتقلت مذبحة السجون بعد ذلك ، الى بعض المدن الفرنسية ، وخصوصاً مييه ورايمز . ولام عليها فيرنيوه الجاكوبيين .

* * *

وكان القائد النمساوى / البروسى برونزويك قد احتل فى ٨ سبتمبر غابة ارجون . وبدأت الثورة تشتعل فى الفانديه . ولكن الفرنسيين كانوا قد حشدوا مدفعيتهم القوية ، وجنودهم الجدد ، أمام قواته . واستطاعوا فى ٢٠ سبتمبر أن يوقفوا تقدم قواته . ويلاحظ أن عواطف الفيلسوف الالمانى جيته(×) لم تنصرف وقتذاك ضد اعداء بلاده . وانه قد كتب يقول :

« لقد كنا نتحدث فى الصباح عن شى وأكل الفرنسيين . والآن يتجنب الناس النظر فى عيون بعضهم البعض . ولا يتمتمون إلا باللعنات عليهم . وقد جلسنا فى دائرة فى الظلام . ولم نأبه حتى بأن نوقد ناراً تدفئنا . وبقينا جميعاً صامتين . ثم سألنى واحد عما ظننته فى أخبار الصباح . فقلت له ببساطة : فى هذا المكان ، وفى هذا اليوم ، بدأ عصر جديد من عصور تاريخ العالم . ونستطيع كلنا أن نقول اننا قد حضرنا ميلاده » .

وكانت الانتخابات الجديدة للكونفنسيون تجرى وسط هذا الجو المحموم . ونار الثورة فى باريس تدفىء قلوب أهلها . واللافتات والملصقات فوق الحوائط . وقد ترك الناس ملابس وأخلاق الارستقراطية . فلم يعودوا يرفعون قبعاتهم بالتحية . وأصبحوا يلقبون

(×) أنظر كتابنا « جيته » فى هذه السلسلة .

بعضهم البعض باسم المواطن ، بدلاً من « مسيو » . ولم تعد السيدات يتباهين بملابسهن ومجوهراتهن . ويحاولن أن يقلدن العاملات صاحبات الحرف فى بساطتهن .

وقد قيل أن سبعة أفراد فقط من بين كل مائة باريسى قد اشتركوا فى الانتخابات الجديدة . ومهما كان الأمر ، فان الجاكوبيين قد اكتسحوها ، وفازوا بجميع دوائر باريس ماعدا واحدة . ولكن الجيرونديين فازوا بأكثر دوائر الأقاليم . واحتفظوا بأكثر المناصب الوزارية . ولكنهم لم يحسنوا ، كما سنرى ، استخدام مكاسبهم . وتغلب عليهم فى الصراع التالى الجاكوبيون ، الذين اتخذوا أماكنهم فى المقاعد العليا والخلفية من قاعة الكونفنسيون ، حتى عرفوا باسم المونتانيار Montagnards أو الجبليين .

وكان المونتانيار يعودون الى أصول بورجوازية . فأكثرهم من المحامين والأطباء والأداريين والتجار . وقد آمنوا بالجمهورية . وأختاروا الحرب . وآزروا الملكية الفردية . وحرية التجارة . وكان من أهم الناطقين بأسمهم ماراه ، وروبسبيير ، ودانتون ، ولوى ديه سانت يوست Saint-Just (١٧٦٧/١٧٩٤) .

وعند اجتماع الكونفسيون ، اتفق الجاكوبيون والجيرونديون على الغاء الملكية . وعلى بدء سنة جمهورية جديدة ، تبدأ من ٢٢ سبتمبر عام ١٧٩٣ . ولكنهم لم يتفقوا بعد ذلك على شيء آخر . وأخذوا يتصارعون ويتهاجمون . وكانت قضية الملك من أبرز نقاط الخلاف بينهما .

فان الملك ، وأسرته ، كانوا قد أنتقلوا من دار الجمعية التشريعية قبل هذا بأربعة شهور الى قصر شقيقه الكونت ارتواه . ثم الى مبنى التمبل

Temple . وكان الجيرنديون يتجنبون محاكمته ، ويفضلون اخلاء سبيله . ولكن الجاكوبيين كانوا يريدون اعدامه . والسان كيلوتيون يستعجلون هذه المشهد . ويتظاهرون كل يوم فى الشوارع المحيطة بمبنى الكونفنسيون لحث المجتمعين فيه على الأمر به . وقد حذر دانتون أعداءه ، رغم صلاته الطيبة القديمة بالملك :

« اننى احذركم جميعاً . اننى لن أرضى لرأسى أن يسقط مع رأس الملك . وسأنضم الى من يدينونه » ! .

وأيد دانتون اعدامه ، وأعلن :

« ان المكان الوحيد لضرب ملك من الملوك ، هو على رأسه » !.

وقد أساء لقضية الملك ، عثور المسئولين فى قصر التويلرى ، على صندوق حديدى مغلق ، عثروا بداخله على خطابات كثيرة من امبراطور النمسا . فأرسل الكونفنسيون الى الملك ، فى ١١ ديسمبر ، يستجوبه ، على « ما أقترف من جرائم لتوطيد أركان الطغيان على أنقاض الحرية » .

وقد أجاب الملك على أسئلة الكونفنسيون فى هدوء واختصار . وكان يساعده محاميه ماليشيير . وفى نهاية المحاكمة ، أدانه الكونفنسيون باجماع الآراء . وصوتت أغلبية الحاضرين (٥٠ صوتاً) بأعدامه . ورفضت أغلبيتهم (٧٠ صوتا) ارجاء تنفيذ الحكم .

ومع أن الجيروندين قد حاولوا مساعدة الملك قدر استطاعتهم ، فكل ما توصلوا اليه هو التشبث بالشكليات ، واقامة بعض العراقيل المؤقتة . وقد انتهى الأمر بفقدهم تأييد الرأى العام الفرنسى ، ومعاداة السان كيلوتيين لهم .

وقد قبل الملك الحكم بهدوء . وأوقظ قبل فجر ٢٠ يناير عام

١٧٩٣ ، لاعلانه به . وقد ودع أسرته فى المساء . وبكت زوجته وطفلاه عالياً . وأجهش هو أيضاً بالبكاء . ثم رفض أن يرى أسرته بعد ذلك . وقد أوقظ فى الساعة الخامسة من صباح اليوم التالى ، ٢١ يناير . فصلى ، وتناول الغفران من قسيسه . ثم حملته مركبة ، يتقدمها فرقة من الحرس الوطنى الى ميدان الثورة (الآن الكونكورد) . وكانت الساعة قد بلغت التاسعة والنصف صباحاً . والسماء داكنة . والرذاذ يملأ الجو . ولكن الجماهير كانت غفيرة ، على طول الطريق وفى الميدان .

وقد نزل الملك من عربته ، وخلع ملابسه ، ثم صعد فوق المنصة التى تحمل المقصلة . فربطت يداه خلف ظهره ، وقطع شعره الطويل ، وأنزل قميصه عن رقبته .

وقد حاول الملك أن يخاطب الحاضرين بكلمات أخيرة . ولكن دقات الطبول أغرقت نهاياتها

« اننى أعفو عن المذنبين بقتلى . وأصلى للرب ألا تحتاج فرنسا الى دمى المسفوك . وأعارض على وجه الخصوص الدستور المدنى لرجال الدين » .

وقد وضعت رأس الملك تحت المقصلة . ثم جذب الحبل . ونزل النصل الحاد على رقبته . ولكن رأسه لم تنفصل بسرعة ، لسمك رقبته ! . فأعاد الجلاد رفع النصل وانزاله .

ثم أمسك أحد الحراس الرأس المفصول من شعرها الباقى والملطخ بالدم ، ودار بها حول المنصة . فعلت هتافات الجماهير : تعيش فرنسا . تعيش الجمهورية ! .

الخلاف بين الجيرونديين والجاكوبيين

وقد تهددت القوى الأوروبية فرنسا ، بعد أعدام ملكها . ولكن دانتون تحداها . وأعلن نية بلاده فى أن توسع حدودها السياسية حتى الحدود « الطبيعية » . أى إلى جبال البيرنيه والالب ونهر الراين . واستعدادها لتحرير أى شعب يتحرك لتحرير نفسه . وقال :

« أن ملوك أوروبا يتحدون فرنسا ، ويحاولون التضييق عليها . ونحن نلقى تحت أقدامهم برأس ملكنا كعربون لمعركتنا المقبلة معهم » .

وفى فبراير عام ١٧٩٣ ، أعلنت فرنسا الحرب على انجلترا . ثم اعلنتها على هولندا وأسبانيا . وكانت القوات الفرنسية قد احتلت موناكو . وانتزعت سافوا ونيس من ملك سردينيا . وتوغلت جيوشها فى المانيا حتى فرانكفورت . ودخل ديه مورييه بلجيكا ، وهزم النمساويين عند جيمابتيس ، وتهدد بروكسيل ولييج وانتويرب .

ولكن الحرب أدت الى ازدياد موجة الغلاء فى باريس ، وفقد العملات الورقية الجديدة لأكثر قيمتها . حتى أصبح الباريسيون ، وخصوصاً الفلاحون ، يرفضون التعامل بها . واضطر الجيرونديون ،

أمام تطرف السان كيلوتيين ، الى مهادنة الجاكوبيين .

ثم توقف تقدم ديه مورييه فى بلجيكا وهولندا . وتحول التوقف الى هزيمة عند نيرفيندين ولوفان . وعندما تراجع جيش ديه مورييه الى حدود فرنسا ، لام قائده « السياسيين فى باريس » على هزيمته . وحاول أن يتوجه بجيشه الى باريس ، وأن يغزوها . فلما فشل فى انقلابه ، انحاز مع عدد من ضباطه ، فى أبريل عام ١٧٩٣ الى النمساويين ! .

وقد عاودت القوات النمساوية ، بعد انضمام ديه مورييه لها ، غزو فرنسا . فطالبت باريس الأقاليم الفرنسية بأن تجند على الفور ٣٠٠ ٠٠٠ جندى جديد . وقد أدى هذا الى قيام القلاقل فى أقاليم كثيرة . والى اشتداد الثورة المسلحة فى الفانديه . وانضمام النبلاء للثورة انضماماً سافراً . وقامت فى بريتانى ، وبوردو ، ونانت ، وليون ، ومرسيليا ، اضطرابات مختلفة . ويلاحظ أن المؤرخ الفرنسى ميشيليه قد ألقى بذنب عصر الأرهاب التالى ، على هذه الاضطرابات . ولام عليها النبلاء الذين تزعموها . وقال ان استغلال النبلاء لهذه الاضطرابات هو الذى جعل من عصر الارهاب ضرورة .

* * *

وقد حاول الكونفنسيون أن يعالج الأمور بسرعة وحزم . فأعدم بعض زعماء هذه الاضطرابات ، والنبلاء العائدين الى فرنسا للانضمام اليها . وحاول أن يراقب جميع الاجانب فى البلاد . وأن ينفى رجال الدين المتهمين بمناهضة الثورة . وقد ألف منذ ١٠ مارس لجاناً ، ومحكمة ثورية ، لمحاكمة أعداء الشعب . وقال دانتون فى تبرير هذه الاجراءات :

« لنكن فظعاء ، كى نمنع غيرنا من أن يكونوا فظعاء » ! .

ثم أقام الكونفنسيون ، منذ ٢٦ مارس ، لجنة الأمن العام « لمساعدة الجهاز التنفيذى على حفظ الأمن فى البلاد » . وقد تألفت من ١٢ عضواً . أصبحوا بعد ذلك ٩ أعضاء . كان أهمهم هو دانتون . وبدأ المجلس يرسل مندوبيه الى الاقاليم لفرض سيطرته عليها .

ثم وقعت الوقيعة بين الجيرونديين والجاكوبيين . وطلب ديسمولان الى الكونفنسيون « أن يقىء الجيرونديين من داخله » لمحاولاتهم السابقة مساعدة الملك ! . وكان الاتهام الذى يتهدد الجيرونديين ، هو ذات الاتهام الذى أتهم به دانتون . فان دانتون كان قد قام هو أيضاً للملك بمساعدات كثيرة . وقد ذهب دانتون الى الجيرونديين ، وعرض عليهم السلام . وطلب منهم أن يتناسوا الماضى ، وأن يبدأوا معاً عهداً جديداً . ولكن زعيمهم ، جوديه ، قال له : بل لتشتعل الحرب بيننا ، وليقضى جانب منا على الآخر ! .

وقد رد عليه دانتون : اذن ، أنت تريد الحرب يا جوديه .. اذن ستلاقى الموت ! .

وكان الجيرونديون يسيطرون على المحكمة الثورية . وقد أستدعوا اليهم فى أبريل عام ١٧٩٣ ماراه . فأتهموه بالتهجم على زملائه الذين حاولوا انقاذ رأس الملك . ولكن السان كيلوتيين سارعوا الى الالتفاف حوله وتأييده . ولم تستطع المحكمة الا أن تبرئه . ثم حمله السان كيلوتيين فوق أكتافهم الى الكونفنسيون (حيث كان ماراه قد أصبح عضواً) . ووقف زعيمهم يلقى كلمة فى تكريمه :

« أيها المواطن الرئيس . اننا نعيد لكم المواطن الشريف ماراه . لقد كان ماراه على الدوام صديقاً لنا . وسنبقى على الدوام أصدقاء له . واذا كان ضرورياً أن تسقط رأسه ، فان رؤوسنا

جميعاً سوف تسقط قبل رأسه » .

ثم ألقى ماراه كلمة فى الكونفنسيون ، أدان فيها أعداءه . وحمله السان كيلوتيين بعدها الى نادى الجاكوبيين . فألقى كلمة أخرى مماثلة .

ويلاحظ أن انضمام ديه مورييه لأعداء فرنسا ، كان قد أساء على ما ذكرنا للجيروندين . اذ كان محسوباً عليهم . وان ثورة الاينراجيه (الغاضبين) Enragès بقيادة جين فارليت Varlete وجاك روه Roux فى باريس ،قد أدت الى عزلتهم فى العاصمة . هذا رغم انه كان لهم فى انحاء فرنسا أكثر من ٥٠٠ ٠٠٠ عضو . وكانوا يسيطرون على أكثر أجهزة الحكومة فى المقاطعات .

وكان أعضاء الاينراجيه قد طالبوا بتقييد التجارة ، وتحديد حد أقصى لأسعار المحاصيل . ولكن الجيروندين أتخذوا موقفاً صلباً من هذين المطلبين . وحاولوا أن يسيطروا بالعنف على العناصر المتطرفة فى الاينراجيه وكوميون باريس وبين السان كيلوتيين . من دون أن يقووا صلاتهم بجماهير الشعب .

وقد قبض الجيرونديون فى أواخر مايو عام ١٧٩٣ على هيبير وبعض زملائه . ولكن السان كيلوتيين والاينراجيه قاموا بمظاهرات كبيرة ، هاجموا فيها الكونفنسيون . وأفرجوا عن هيبير وزملائه . ثم طالبوا الكونفنسيون بأن يحل لجنة الاثنى عشر التى ألفها الجيرونديون لبحث شئون كوميون باريس بغية حله .

وقد رضخ الكونفنسيون للمتظاهرين ، وأعلن حل اللجنة . ولكن الجيروندين أعادوا تأليفها . فقام ٣٠ ٠٠٠ من السان كيلوتيين والاينراجيه ، فى ٢٨ مايو ، بمظاهرات جديدة ، طالبوا فيها بالغاء اللجنة و « القبض على بعض الزعماء الجيروندين » .

وقد وافق الكونفنسيون فى آخر مايو على الغاء اللجنة . ولكنه رفض القبض على أعضائه الجيرونديين . وأحال أمرهم الى لجنة الأمن العام . ولكن هذا الحل لم يرض المتظاهرين . فطالبوا بأن « تأخذ العدالة مجراها » .

وقد حاول الكونفنسيون ، وأكثر الأعضاء الجاكوبيين ، أن يقفوا الى جانب الأعضاء الجيرونديين . ولكن آلاف الجنود من الحرس الوطنى كانت تحاصر مبناه ، وتمنع خروج أعضائه منه ، حتى يسلموا بمطالبهم كاملة . وقد حاول رئيس الكونفنسيون ، مارى هيروه ديه سيشل Herault de Sèchelles عبثاً ، أن يثنى قائد الحرس الوطنى ، فرانسوا هانريوه Hanriot عن محاولاته منع انصراف أعضاء الكونفنسيون . حتى وافق الأعضاء فى النهاية على القبض على ٢٢ من أعضائه الجيرونديين . وقرأ ماراه بنفسه القرار ، وأسماء المقبوض عليهم ، على المتظاهرين .

روبسبير ينشر الأرهاب

وقد أدى القبض على الجيرونديين فى باريس الى ازدياد الاضطرابات فى المقاطعات الفرنسية ، حيث كان للجيرونديين فيها أغلبية كبيرة . وقد نجحوا فى تصوير ما أصابهم فى باريس كعدوان من العاصمة على هذه المقاطعات . فاجتمع ٦٠ مجلساً من مجالس هذه المقاطعات ، خلال الأيام القليلة التالية للقبض على الجيرونديين الباريسيين ، واحتجوا على هذا العمل . وطالبوا بأن تصبح علاقة المقاطعات بباريس علاقة فيدرالية . وطردت بعض المدن ، كبوردو وليون ومرسيليا ، الجاكوبيين من مجالسها . وتفاقمت الاضطرابات فى بعضها الآخر ، حتى أصبحت ثورات مسلحة .

وأما فى باريس ، فقد أخذ الجاكوبيين يمالئون السان كيلوتيين والاينراجيه . فجعلوا الانتخاب والترشيح حقاً من حقوق المواطن ، يكفله له القانون من دون اشتراط ارتباط بينه وبين الضرائب التى يدفعها . وأعلنوا حقوق المواطن الكاملة فى أن يجد التعليم المناسب . وفى أن يعثر على العمل الذى يؤديه ويتكسب منه . ثم أصدروا قوانين الحد الأقصى ، التى تكفل تحديد أسعار الضروريات . وقانون تجريم تخزين مواد الغذاء . وجعلوا عقوبة هذه القوانين الاعدام . وبدأوا يبيعون

أراضى النبلاء المهاجرين للفلاحين الذين يزرعونها .

ولكن مقاطعتى كونديه وفالنسيين سقطتا فى أيدى القوات النمساوية . وتقدم الايطاليون عبر الحدود الى فرنسا . وعبرت القوات البيدمونتية الى سافوى . والأسبانية جبال البرانس . وحاصر الأنجليز دنكيرك ، ثم طولون . واستولوا فى الأخيرة ، وبمساعدة الملكيين ، على ٢٦ قطعة بحرية فرنسية . وسيطرت القوات الملكية سيطرة كاملة على ليون .

وكان دانتون قد حاول أن يهدىء الأمور ، سواء فى داخل فرنسا أو فى خارجها ، بالدعوة للتفاوض مع الثوار ، ومع القوى الأجنبية . فلما فشل ، طُرد من لجنة الأمن العام . ودخلها منذ ٢٧ يوليه عام ١٧٨٣ روبسبيير . وكان المقرر هو أن ينتخب الكونفنسيون أعضاء اللجنة فى كل شهر . ولكن الحقيقة هى أن أشخاص هؤلاء الأعضاء قليلاً ما تغيرت . وأن روبسبيير قد سيطر سيطرة كاملة على اللجنة عن طريق حليفيه : كوتون وسانت يوست . وعلى المحكمة الثورية عن طريق فوكيه تينفيل . وعلى الحرس الوطنى عن طريق هانريوه .

وكانت لجنة الأمن العام تشرف على مبعوثى الكونفنسيون فى المقاطعات . وتطلب الى مندوبيها تزويدها بأخبار وافية ومنتظمة عن أحوالها . وتراقب أعمال كوميون باريس . وقد زادت من رقابتها عليه منذ رئاسة روبسبيير للجنة .

* * *

وكان روبسبيير ، عندما صار رئيساً للجنة الأمن العام ، فى الثانية والثلاثين من عمره . صغيراً . ورفيعاً . لا يزيد طوله عن ٥ أقدام .

نحيف القوام . باهت اللون . شديد التأنق . وملابسه ، كعيونه ، خضراء دائماً . تظهر آثار اصابته القديمة بالجدرى على وجهه . ويسير بسرعة . وينطق جمله الطويلة بصوت أجش . وعصبى . ويرفع نظارته ، ويخفضها ، مع كل فقرة من فقرات خطابه . ولم يكن يخالط أحداً . قليل الابتسام . لا يعرف شيئاً من أنواع اللهو . « ولم يكن فاسداً . وكان متمسكاً بمبادئه . وبمناصرته لرجل الشارع . حتى وثق فيه الجميع » .

وكان روبسبيير قد ولد فى أراس ، فى عام ١٧٥٨ ، فى عائلة من المحامين . وقد ترك والده المدينة الى المانيا ، حيث توفى بعدما ماتت زوجته بقليل . ونشأ روبسبيير وشقيقه وشقيقاته فى بيت عماته . وقد عرف عنه منذ صغره الدقة والمثابرة والوثوق الكامل من النفس .

وقد تأثر روبسبيير فى سنوات دراسته فى أراس ، ثم باريس ، بفولتير والفيزيوقراطيين . ودرس له فى مدرسته بالاخيرة دالمبير . وقد جعل هؤلاء الفلاسفة ، والفيزيوقراطيين والموسوعيين ، روبسبيير يتساءل عن نشأة الحقوق ، ومدى مسئولية المتمتعين بها . وقد قوضوا أساس الملكية عنده ، بتساؤلاتهم تلك ، وسخريتهم اللاذعة من الأوضاع القائمة وقتذاك .

ولكن روبسبيير ذهب الى أبعد مما ذهب اليه هؤلاء الفلاسفة . اذ هو قد تأثر الى حد بعيد بروسو ، الذى آمن بأن الحكم ، باحتمالاته الديمقراطية والاستبدادية ، يقوم على « الارادة العامة » للشعب . وهذا ، كما سنرى ، رأى متعدد الجوانب . له وجه ديمقراطى . ووجه آخر ثورى . وقد استغل آراء روسو من بعده الديمقراطيون والثوريون على السواء .

فان روسو يتساءل فى « المحادثات » :

« هل يتعين على الأمة فى كل مرة ، تريد فيها أن تحدد الارادة العامة ، أن تجتمع بكامل هيئتها ؟ .. بالطبع لا . بل هى يجب ألا تجتمع إلا فى النادر القليل . بل انه ليس من المؤكد أن الأمة ستجمع على رأى واحد فى كل مرة تجتمع فيها لمثل تلك الأستشارة .

« ان الحاكم يعرف أن الارادة العامة هى دائماً فى جانب المنفعة القومية . أى فى الجانب الأكثر مراعاة لجموع المحكومين . ويجب عليه لهذا السبب ، أن ينظر بالعدل فى تحقيق ارادتهم العامة . والعهد الفاضل هو ذلك الذى تتوافق فيه الارادة العامة للأمة مع أكثر الارادات المختلفة فيه » .

ويأخذ روبسبيير من حيث وقف روسو ، فيقول :

« ان فكرة الحكومة الثورية حديثة ، فى مثل حداثة الثورة ذاتها ، ولهذا فان الكتاب السياسيين لم يدرسوها دراسة كافية ، لأنهم لم يستطيعوا التنبؤ بالأحوال التى تؤدى الى الثورة .

« ان مهمة الحكومة الدستورية هى أن تحمى الجمهورية . ومهمة الحكومة الثورية هى أن تقيم الجمهورية . والثورة هى الحرب التى تعلنها الحرية على أعدائها كى تحقق أهدافها .

« والدستور هو الاطار ، الذى تعمل فيه الحرية المنتصرة والآمنة . وتحت حكم الدستور ، نحمى حريات الفرد من قوة الدولة . ولكن فى النظام الثورى ، يجب أن تحمى الدولة نفسها بكل مالديها من قوة من تطاول الثورة المضادة عليها » .

* * *

وكان روبسبيير قد عمل محامياً فى أراس منذ عام ١٧٨٠ . وقد أنتخب عضواً فى أكاديمية تلك المدينة بعد ذلك بثلاث سنوات . ثم أصبح رئيساً للأكاديمية منذ عام ١٧٨٦ . وقد أنتخب مندوباً عن القوة الثالثة فى انتخابات مجمع القوى الثلاث فى عام ١٧٨٩ . وكان خجولاً «حتى لم يكن يستطيع التغلب على مقاطعيه» والكلام فى المجمع . ولكن ميرابوه لاحظه . وقيل انه قد قال عنه : ان هذا الرجل سيتقدم كثيراً ، لأنه يؤمن بما يقول ! .

وقد سكن روبسبيير فى باريس ، شقة متواضعة ، مع صديق له ، فى شارع سانتونج . ولم يكن يؤنسه إلا كلبه . ثم انتقل منذ حادث شامب ديه مارس الى سكنى شقة صديقه ديبليه فى شارع سانت أونوريه . وكان صديقه هذا وبناته الثلاث يحترمونه ويجلونه . ولم يكونوا يتأخرون عن توفير كل أسباب الراحة والسعادة له . وقيل ان احدى بنات صديقه ديبليه قد أحبته ، وكانت تحب أن تتزوجه .

ولكن روبسبيير لم يعرف فى باريس غير العمل السياسى ، ثم الراحة والعمل بمنزل شارع سانت أونوريه . وأحياناً التمشى مع كلبه فى حدائق التويلرى . وتقديم فتات الخبز للعصافير هناك .

وقد انتخب روبسبيير منذ مارس عام ١٧٩٠ رئيساً لنادى الجاكوبيين . ثم عارض دستور عام ١٧٩١ . ولم يحبذ دخول فرنسا الحرب . وتنبأ ، قبل كوارث عام ١٧٩٢ ، بأن فرنسا ستخسرها .

وكان روبسبيير قد أتهم من جانب عدد من المتطرفين بأنه « يخفى نفسه عن كل خطر » . ولا يظهر أبداً « فى اليوم العصيب » . وقد أتهمه ماراه بأنه قد « عاش يتجنب الأخطار ، ويشحب لونه اذا ما رأى نصلاً مرفوعاً » ! . وأما روبسبيير ، فكان يقول :

« اننى انظر دائما الى أبعد من جدران القاعة التى أتحدث فيها . وعندما يرتفع صوتى بالحديث الى أعضاء الجمعية الوطنية ، فأن هذا الصوت يتجاوزهم الى الأمة . ثم الى الانسانية . وأحب أن أحرك فيهم ، وأحرك فيهم الى الأبد ، شعور العزة بالانسان » .

وقد صاحب انتخاب روبسبيير رئيساً للجنة الأمن العام ، انحياز تلك اللجنة ، والجاكوبيين عامة ، الى اليسار . وقد أتهم روبسبيير بأنه قد أستبد بأعمال لجنة الأمن العام . ولكن الحقيقة هى أنه كان يدعوها الى الاجتماع صبيحة كل يوم . فتتخذ قراراتها بعد مناقشات كاملة بين أعضائها . والثابت أن روبسبيير لم يختص فى اللجنة بعمل معين . ولم يكن يترك باريس ، كغيره من أعضائها ، الى مهام بالمقاطعات الفرنسية . وربما كان هذا هو السبب ، بالاضافة الى تحدثه بأسمها فى نادى الجاكوبيين وفى الكونفنسيون ، فى القول بأنه قد استبد بها .

وقد سبقت الاشارة الى دفاع المؤرخين عن روبسبيير ، بأن عهد الارهاب الذى أشرف عليه كان محتوماً . والحقيقة أن روبسبيير لم ينكره . وقد دافع عنه :

« يجب ألا نخلط بين الاعتدال والاهمال . أو بين الرحمة والضعف . وقد يحتم علينا أن نلجأ الى القسوة ، حتى نحافظ على العدل . ولكننا لن نصبح فضلاء اذا ما سمحنا بالفحش . بدلاً من أن نحافظ على الحق » .

وفى تقدير المؤرخ الفرنسى لوى بلان أن الجاكوبيين ، وروبسبيير ، هم أبطال الثورة الفرنسية الحقيقيون . وأما ميشيليه ، فيرى أن الجاكوبيين والجيرونديين « معاً » هم أبناؤها وأبطالها . ويبرز ماتياز دور روبسبيير فى خلق الثورة « الاجتماعية » . ويرى أنه وحده بطلها .

اغتيال ماراه

وقد هدىء اتجاه الجاكوبيين لليسار السان كيلوتيين . ولكن هذا الاتجاه لم يهدىء غلاة الاينراجيه . فأخذت الصحف الباريسية تهاجمهم . وطردت لجنة الأمن العام زعيمهم روه ، وعدد من أنصاره ، من نادى الكورديليه والأقسام الباريسية .

وقد زادت ثورة الاينراجيه ، حين قتلت شارلوت كورداى ، فى ١٣ يوليه عام ١٧٩٣ ، زعيمهم المفضل : ماراه . فعندما طرد الجاكوبيين الجيروندين من باريس ، لجأ الأخيرون الى المقاطعات الفرنسية المختلفة ، ومن بينها نورماندى حيث عملت لهم هناك شارلوت . وكانت شارلوت فتاة طويلة ، وقوية الجسم والعزيمة . ومن عائلة نبيلة وفقيرة ، من عائلات تلك المقاطعة . وقد تعلمت فى صغرها فى دير بمدينة كاين . وتعلقت أثناء ذلك ببلوتارخ وفولتير .

وقد أعتبرت شارلوت ماراه مسئولاً عن القضاء على الجيروندين . وتطوعت لقتله . وعندما حضرت الى باريس ، زارته فى بيته . وعندما لم تستطع رؤيته ، تركت له هذه الكلمات :

« أيها المواطن . لقد حضرت لتوى من كاين . ولا أشك أن

حبك لموطنك الأصلى ، سيجعلك تواقاً لمعرفة أخبار ذلك الجزء من جمهوريتنا . وسوف أمر عليك بعد ساعة . وأرجو أن تتكرم على بأن أراك لحديث قصير . وتأكد أنك ستؤدى بذلك خدمة لفرنسا » .

وقد قرأ ماراه كلمات شارلوت ، ثم رفض أن يراها . وعندما مرت عليه بعد ساعة ، كما قالت ، تعللوا لها بأسباب مختلفة . ولكن شارلوت لم تيأس . وطلبت مرة أخرى أن ترى ماراه . وقالت أن عندها أسراراً تحب أن تفضى بها اليه شخصياً .

ولما رفض ماراه طلبها للمرة الثانية ، عادت شارلوت اليه بعد ذلك بأيام ، فى ١٣ يوليه . ولكن بواب المبنى رفض السماح لها بالدخول . فقابلت شقيقته ، وأفهمتها أن لديها أخباراً هامة تحب أن تفضى بها الى ماراه . وقد ذهبت شقيقة ماراه ، فاستئذنت لها فى الدخول . وأذن لها ماراه أن تدخل عليه . وكان فى حمامه النحاسى ، وجسمه محاط بالمناشف . فان مرضه الجلدى ، الذى أصابه من هروبه فى مجارى باريس ، كان قد اشتد عليه . حتى لم يكن يستريح بمنزله إلا وهو غاطس فى حمامه الساخن .

وكان مع شارلوت سكين مطبخ اشترتها بفرنكين . وقد حملت معها أوراقها الخاصة . وبياناً أعدته « الى الفرنسيين » . وقد تحدثت الى ماراه فى أمر بعض المعارضين للجاكوبيين فى كين . وأعطته اسماءهم . ووعدها ماراه بأن يقتلهم جميعاً . ثم استلت شارلوت سكينها ، وضربته به فى صدره .

وقد نفذت الطعنة الى القلب . ومات ماراه بعد لحظات من صرخته : « ألحقونى يا أصدقائى » . وقبل أن يصل اليه مساعدوه .

وقد ضرب أحدهم شارلوت بكرسى خشبى . وألقاها على الأرض . ولكنها قامت وصرخت فيه : ولا يهمنى . لقد انتهى الأمر . وقتل الشيطان ! .

وجدير بالذكر أن ماراه قد لاقى بعد وفاته تكريم الكونفنسيون ، ونادى الجاكوبيين ، وبقية المسئولين فى باريس . وكانت خسارة الاينراجيه فيه لا تعوض . وقد شيعه الباريسيون فى موكب كبير . ثم أحرقت جثته ، ودفن رماده فى البانتيون . وخصصت فرنسا معاشاً كبيراً لعشيقته .

* * *

وقد بدأت لجنة الأمن العام عهدها المشهور بالأرهاب منذ يوليه عام ١٧٩٣ . وكانت تضم ، كما ذكرنا ، ٩ أعضاء . يتولى كل منهم مسئولية محددة . ماعدا رئيسها روبسبيير الذى كان يتولى الاشراف على أعمالها عامة . وقد ضمت اللجنة الارستقراطى القديم هينو ديه سيشل ، الذى أشرف على وضع دستور عام ١٧٩٣ . والمحامى روبرت ليندية Lindet (١٧٤٩/١٨٢٥) . وكان مسئولاً عن الامدادات والتموين . والمتطرفان بيلوه فارين Billaud-Varennes (١٧٥٦/١٨١٩) وكولوه دايربواه d'Herbois (١٧٤٩/١٧٩٦) . والمحامى المعوق والمندوب عن أوفيرن ، جورج كوتون Couthon (١٧٥٥/١٧٩٤) . وقد اختص بزيارة المقاطعات ، رغم أنه كان ينتقل محمولاً من مكان الى آخر . وقد ساعده بعد ذلك المحامى البارد والمتعاظم لويه ديه سانت يوست Saint-Just (١٧٦٧/١٧٩٤) الذى اشتهر بتطرفه وقسوته ، والتصاقه الشديد بروبسبيير .

وكان سانت يوست يقول : لن تكون هناك رحمة ، فليس بين

الشعب وأعدائه غير حد السيف .

وأيضاً : أننا يجب أن نحكم بالحديد ، هؤلاء الذين لم نستطع أن نحكمهم بالعدل . ويجب أن نعاقب لا المذنبين وحدهم ، وانما السلبيين أيضاً .

وأيضاً : يجب ألا تكون لدينا أية دواع للحذر مع أعدائنا . ان الحرية يجب أن تسود مهما كان الثمن الذى ندفعه من أجلها .

وقد أنضم الى اللجنة أيضاً ، الضابط المهندس لازار كارنوه Carnot (١٨٢٣/١٧٥٣) الذى تولى مسئولية جيش الثورة . ويلاحظ أن اللجنة قد التفتت التفاتاً خاصاً للجيش . وحاولت تطهيره من الضباط الارستقراطيين . وأعدمت الجنرالين كوستين وديه بيرون . وأخذت فى اخماد الثورة فى الفانديه وليون بمنتهى الشدة والقسوة .

وقد وصف روبسبيير أعماله فى لجنة الأمن العام ، بأنها « تحقيق لعهد الاصلاح الذى نادى به روسو » . وكان روبسبيير يتهم أكثر من يحاكمهم ويدينهم بأنهم « خدمة بيت » و « الانجليز » ! .

وعندما نقص الخبز فى باريس ، فى بداية سبتمبر عام ١٧٩٣ ، تجمع أعداء روبسبيير ، من الدانتونيين الى اليمين حتى الاينراجيه الى اليسار . ونظموا مسيرة بزعامة هيبير ، للسير على الهوتيل ديه فيل . ثم مبنى الكونفنسيون . وأعلن هيبير : ان الارهاب قد أصبح هو طابع اليوم ! .

وكان ميدان الثورة يمتلىء كل يوم ، وطوال خريف وشتاء عام ١٧٩٣ ، بآلاف الباريسيين والباريسيات الذين تجمعوا لرؤية الرؤوس التى تفصلها وتدحرجها المقصلة على الأرض .فيساق أعداء الثورة الذين حكمت بأعدامهم لجنة الأمن العام الى الميدان . ويحملون الى المقصلة . ثم يعودون منها أجساداً تقطر دما من دون رؤوسها .

وقد أعدمت الملكة فى ١٦ أكتوبر . وتبعها بعد ذلك بأيام الزعماء الجيرونديون ، وعلى رأسهم فيرنيوه وبريسوه . وقد قتل أحد هؤلاء الجيرونديين ، المدعو فالازييه Valazé نفسه . ولكن المشرفين على اعدامه أصروا على أن ترفع الجثة الى المقصلة ، وأن يقطع رأسها كالباقين ! .

وفى ٦ نوفمبر ، تقرر اعدام دوق أورليانز . ولكنه طلب وقف التنفيذ يوماً واحداً . وقد أجيب الى طلبه .وأدب لنفسه وليمة فاخرة ، استمتع فيها بأطيب الطعام والشراب . ثم حمل فى الصباح الى المقصلة التى فصلت رأسه ! .

وبعد ذلك بيومين ، أعدمت مدام رولان . وكان زوجها قد هرب . وقد نظرت مدام رولان الى تمثال الحرية الذى كان قد نصب أخيراً فى ميدان الثورة ، وقالت قولتها الشهيرة : « أيتها الحرية ، ما أكثر الجرائم التى أرتكبت بأسمك » ! .

وقد لحقها فى ١١ نوفمبر ، وكما سبق القول ، عمدة باريس السابق بايلى . وفى آخر الشهر ، احضر بارناف من جرينوبل ، وأعدم .

ويلاحظ أن حكم الأرهاب « لم يكن وسيلة الى تحقيق ثورة اجتماعية » بقدر ما كان « صراعاً سياسياً بين قوات متصارعة » . وقد كلف فرنسا خلال هذه الشهور حوالى نصف مليون ، بين سجين أو معذب أو قتيل أو هارب . وقد أعدم من هؤلاء فى باريس وحدها حوالى ٤٠٠٠ . وفى المقاطعات حوالى ١٦٠٠٠ . وكان عشر عدد هؤلاء المقتولين من النبلاء . والباقين من المناهضين للثورة ، أو التجار المتهمين باختزان الأطعمة أو المغالاة فى أسعارها ، أو لغير هذا من الأسباب الهامة وأحياناً التافهة .

ويبرز ، فى سياق الحديث عن عهد الارهاب ، حادثان : الأول وقع

فى ليون . حين لم تسعف المسئولين هناك الجيلوتين ، فأوقفوا ثلاثمائة من المتهمين بمناهضة الثورة فى صفوف ، وحصدوهم بالمدافع . والثانى وقع فى نانت ، حين حمل ٢٠٠٠ من هؤلاء المناهضين فوق السفن ، التى سحبت الى وسط نهر اللوار ، ثم أغرقت . وقد سبب الحادث الأخير ، توقف الملاحة فى نهر اللوار أسابيعا ، بسبب الجثث التى سدت ولوثت مجراه . وأن بعض الطيور والأسماك قد توحشت ، حتى خشى الناس على أنفسهم منها . وتوقف صيد الاسماك فى نهر اللوار بسبب ذلك فترة غير قصيرة .

الحملة على الكاثوليكية

وقد قامت فى نيفير ، بزعامة الدوق جوزيف فوشيه Fouché (١٧٥٨ / ١٨٢٠) حملة قوية على الكاثوليكية ورجال الدين المسيحى . فان فوشيه عارض عزوبية رجال الدين الكاثوليك . وأيده فى هذا ديلاكرواه Delacroix . الذى اعتبر منع القسس من الزواج « اعتداء على حريات الشعب » . وتمادت هذه الدعوى ، فقالت ان ارتفاع مستوى المبانى الدينية عن المنازل المحيطة بها « يمس مبادىء المساواة » . وحبذ هؤلاء المنتقدين اطلاق أسماء غير مسيحية على الأبناء ، والمدن ، والشوارع ! .

ثم أقيم فى كنيسة سان سير فى نيفير ، احتفال علمانى كبير . طالب فيه فوشيه « باستبدال العنجهية المسيحية بمبادىء الجمهورية السمحة » . وأحرقت فيه الملابس الكهنوتية . ودمرت زينات وصلبان وأجراس الكنائس . ومنع بيع التذكارات الدينية . وأزيح الستار فى صدر الكنيسة عن تمثال رومانى لبروتس(×) ! .

ودعا فوشيه رجال الدين الى الانخراط فى مجتمعهم . وخدمة هذا

(×) أنظر كتابنا « كليوبطرة » فى هذه السلسلة .

المجتمع بتبنى الأطفال ، ومساعدة المرضى ، وتعهد العجزة والمحتاجين . واستطاع أن يكسب تأييد اسقف البيه ، ثم أسقف باريس ، لحركته . وقد تنازل الأخير عن سلطاته الكهنوتية ، وخلع ملابسه الرسمية ، ولبس ملابس السان كيلوتيين ! .

وأزيلت الزينات والتماثيل والصلبان من الكنائس الباريسية ، وغيرها من كنائس فرنسا . ثم أغلق بعض هذه الكنائس . وتحول بعضها الآخر الى « معابد للعقل » . وأقيم فى بعضها مهرجانات ومواكب ، تصدرتها الفتيات الجميلات . وشهدت مسارح باريس مجموعة من المسرحيات الدعائية التى تناهض الدين ورجاله .

وقد تبنى الاينراجيه والسان كيلوتيين فى باريس ، دعوة فوشيه لمناهضة الكاثوليكية ورجالها . وحبذوا استبدال الزينات والتماثيل المسيحية ، بأخرى لفولتير وروسو وماراه . وشجعوا رجال الدين على المساهمة فى نشاطات المجتمع ، وطرح عزوبيتهم.وأكد هيبير فى صحيفته على وجوب أن تدفع تلك الدعوة الثورة ، الى الذهاب بأبعد مما ذهبت اليه ، فى تحقيق المساواة والعدالة الاجتماعية والاقتصادية بين الفرنسيين .

وقد أقام كوميون باريس ، فى كنيسة روتردام ، ماأسماه بمهرجان العقل . فسارت الباريسيات ، بملابسهن البيضاء وورودهن الحمراء ، فى مواكب طويلة . وحمل السان كيلوتيين تماثيل ماراه وغيره من شهداء الثورة . ثم كللوا ملكة المهرجان . وزفوها بين وصيفاتها من النساء ، وحراسها من الرجال . وتبع هذا التتويج ، غناء ورقص وحبور ! .

وقد ظهرت عقب هذا المهرجان موضة كشف النساء لأعناقهن وصدروهن . ولبس الباريسيون جميعا بنطلونات السان كيلوتيين الواسعة . وانتشرت الموضتان فى أنحاء فرنسا ! .

ويلاحظ أن الحملة على المسيحية ، قد اقترنت بمحاولة منظمة لهدم التقويم المسيحى . وادخال تقويم آخر جديد ، عهد تنظيمه لسكرتير دانتون السابق : فابرد ايجلانتين d'Eglantine (١٧٥٠ / ١٧٩٤) . وقد ساعد دايجلانتين فى اعداد تقويمه كلا من هيبير وشوميه .

ويتلخص تقويم دايجلانتين ، الذى راعى فى وضع أصوله « العودة الى العقل والطبيعة بدلا من المسيحية » فى أن تبدأ السنة الأولى للجمهورية فى يوم ٢٢ سبتمبر عام ١٧٩٢ ، أى يوم اعلان الجمهورية الفرنسية . وأن تقسم كل سنة بعد ذلك الى ١٢ شهراً . وكل شهر الى ٣٠ يوما . وأن تصبح الأيام الخمسة الباقية من كل عام هى « ايام السان كيلوتيين » . وهى أيام عطلة واحتفالات سنوية لجميع الفرنسيين .

وقد قسم دايجلانتين وأصحابه السنة الى اربعة فصول . هى الخريف والشتاء والربيع والصيف . وقسم كل فصل منها الى ثلاثة شهور . ففصل الخريف ينقسم الى فاندرمير وبروميار وفريمير . وفصل الشتاء ينقسم الى نيفيوز وبليفيوز وفانتوز . والربيع الى جيرميتيال وفلوريال ولميزيال . والصيف الى ميسيدور وثيرميدور وفراكتيدور .

وقد ألغى التقويم الجديد عطلة الأحد . وجعل العطلة يوما واحداً كل ١٠ أيام . وكان لهذا أثره السيء ، ليس عند رجال الدين وحدهم ، وانما عند العمال أيضاً . الذين وجدوا عطلتهم الاسبوعية تتحول الى يوم عطلة كل ١٠ أيام ! .

وسرعان ماظهر رد فعل هذه الحملة المنظمة على الدين . فان اقساما كثيرة فى المقاطعات الفرنسية طالبت باعادة فتح الكنائس . ورد ماأخذ منها من تحف وزينات وصلبان وأجراس .

وفى بعض المناطق الريفية ، أخذ الأهالى يفتحون الكنائس عنوة .

ويطردون منها القسس الذين تزوجوا ، ويستبدلونهم بقسس جدد غير متزوجين . وعندما أحسوا بما ظنوه كوارث آلهية تتهددهم ، كموت حيواناتهم ، أو ضعف محصولاتهم الزراعية ، تقاطروا على الكنائس للصلاة ! .

وقد اضطرت قوة الكاثوليكية فى فرنسا ، اعضاء لجنة الامن العام للتدخل . فطالب روبسبيير بوقف « التطرف اللاديني الذى لايخدم الا أعداء الثورة » . وكان دانتون قد عاد الى باريس . فأيده فى دعوته . وأمرت لجنة الأمن العام بالقبض على هيبير وعدد من أعوانه .

وقد نظم روبسبيير فى ٨ يونيه عام ١٧٩٤ مهرجان « الخالق الأوحد » للرد على مهرجان « العقل » السابق الاشارة اليه . وقد أشرف على تنفيذ موكب هذا المهرجان ، واختار ملابسه وزيناته ، الرسام الاشهر دافيد . وقام الموكب من حدائق التويلرى ، مخترقا باريس حتى شامب ديه مارس . ويلاحظ أن دافيد كان قد عاصر الثورة منذ بدايتها حتى نهايتها . وقد انتخب عضواً فى مجالسها النيابية المتتابعة . وقام برسم أهم أحداثها وشخصياتها . وقد أبعد فترة عند تصفية الروبسبيريين . ولكنه عاد لخدمة نابليون بنفس القوة . ولم تكن عنف الأحداث ، وتغير الشخصيات ، تلهيه عن الواجب الذى رصد له نفسه ، وهو تسجيلها بريشته .

* * *

ويلاحظ أن دانتون كان قد ترك باريس الى ضيعته التى اشتراها فى اركى سيراوب . ومرض خلال صيف عام ١٧٩٣ . وكانت زوجته الأولى قد توفيت . وقد تزوج للمرة الثانية من فتاة جميلة لايتجاوز

عمرها ١٦ عاما . وآخذ يستمتع معها بلذات الحياة ! .

ولكنه قدر انه اذا ابتعد طويلا عن باريس ، فان حوادثها ستداهمه ، وتعزله ، وسوف تقضى عليه . وظن انه اذا عاد اليها بعد غيبته القصيرة فى الريف ، وقد أخذت مجموعاتها تتطاحن ، ويتناول الاتهام بالفساد أطرافها ، فانه سيلاقى التقدير الذى يستحقه .

وقد بدأ دانتون ، بعد عودته الى باريس ، يهاجم هيبير وأعوانه من المتطرفين . ويدافع عن المسيحية . ويطالب باعادة الاحتفال بأعيادها :

« لأنه اذا كانت اليونان قد أحتفلت بأعيادها الاوليمبية ، فان لفرنسا أيضا أن تحتفل بأعيادها . لأنه من الواجب أن يستمتع الشعب بأعياده . وليس فى نية الثورة على الاطلاق أن تهدم الدين وتقيم الوثنية » .

وكان دانتون يريد الاستعانة بروبسبيير للقضاء على الهيبرتيين . ويظن أن روبسبيير سيرحب بهذه الفرصة للخلاص منهم . ولكن روبسبيير أكتشف أن هجوم دانتون على الهيبرتيين لم يكن بريئا . وأنه يريد الوقيعة بينه وبينهم ، حتى تفتقد لجنة الأمن العام التى يرأسها ، التأييد والمساعدة الضرورين لها فى انجاز أعمالها . وهنا آلى روبسبيير على نفسه أن يتخلص من الاثنين معا : الهيبرتيين أولا . ثم الدانتونيين بعد ذلك ! .

وكان دانتون يطالب بالرحمة مع المتدينين ، وبالاعتدال مع أعداء الثورة :

« لأن الارهاب يجب ألا يؤذى الأبرياء . فليس بيننا من يحب أن يرى أحداً يعامل كالمذنب لأنه لايظهر الحماس الكافى للثورة » .

وقد أستجاب الكونفنسيون لدعوة دانتون . وألف ، عقب القبض

على الهيبرتيين ، لجنة خاصة لاعادة النظر فى أمر جميع المحكوم عليهم .

ولكن الهيبرتيين قاموا بمظاهرات كبرى أمام نادى الجاكوبيين . وقد صبوا نار غضبهم على الدانتونيين بالذات . ونجحوا فى كسب تأييد النادى لحل اللجنة التى طالب بها دانتون . وأفرج الكونفنسيون عن هيبير وأعوانه .

ثم انضم ديسمولان الى روبسبيير ، وحليفيه بيلوه فارين وسانت بوست ، فى المطالبة بالتخلص من الهيبرتيين . وقد حبكوا لهم مؤامرة ، اتهموهم فيها ، وكما هى العادة ، بالاتصال بأعداء البلاد .

وعندما أحس الهيبرتيون بما يدبر لهم ، قاموا بمظاهرات جديدة ، يستعرضون فيها قوتهم ، ويحشدون الرأى العام الى جانبهم .

وكان هذا هو ماينتظره روبسبيير . فقد استغل قيام هذه المظاهرات حجة ضد خصومه . فقبض عليهم فى ١٤ يوليه عام ١٧٩٤ . وكان يؤيده هذه المرة الدانتونيون . وقد أعدم روبسبيير من زعماء الهيبرتيين ، بعد ذلك بأيام قلائل ، ١٨ . من بينهم هيبير .

الثورة تلتهم أبناءها

وقد أثار هجوم ديسمولان ودانتون على الهيبرتيين ، ثم اعدام زعماء الأخيرين ، ثائرة اليسار فى باريس . فأخذوا يتحركون للقضاء عليهما . وأنتهز روبسبيير هذه الفرصة ، فاشترك معهم فى الايقاع بهما .

وقد تذكر أعوان روبسبيير أن ديسمولان كان قد أسف ، عند الحكم على الجيرونديين ، على حلفائه وأصدقائه السابقين . فانهمرت الدموع من عينيه ! . وقد ذكروه بهذه الحادثة . واعتذر ديسمولان عن افتضاح عواطفه . وأشار اشارة لا تخفى على أحد بما فى قلب روبسبيير من حقد وقسوة :

« أين يكون حب الوطن ، اذا ما اختفت الرحمة ، وحب الانسان لأخيه الانسان ، فلا يبقى فى النفس المحبة لذاتها ، غير روح جاف وذابل » .

وقد قبض روبسبيير عل ديسمولان . وأتهمه سانت يوست أمام الكونفنسيون بعد ذلك بالتآمر على القضاء على أعضاء المحكمة الثورية ، والهرب من البلاد .

* * *

وكان دانتون يعتبر نفسه معصوماً من كل خطأ . بعيداً عن أن تتناوله يد . ويرى أن المساس به ، سيضر المتآمرين عليه . وأن تخلص روبسبيير منه ، سيعقبه التخلص من روبسبيير نفسه . والحق انه كان محقاً ، كما سنرى ، فى رأيه . ولكن كراهية روبسبيير لدانتون كانت طاغية . وربما أعمته عن رؤية الاخطار التى كانت تتهدده . فقد كان يكره شخص دانتون . ويكره شراهته للسلطة والمال والطعام والنساء ! .

وقد دفع روبسبيير أعضاء لجنة الأمن العام دفعاً الى التوقيع ، فى ٣٠ مارس عام ١٧٩٤ ، أى بعد ستة أيام من القضاء على الهيبرتيين ، على الأمر بالقبض على دانتون وأعوانه .

ولكن اثنين من أعضائها ، هما رول ولينديه ، رفضا هذا بحجة عدم اختصاصهما . وذكر كارنوه بعد ذلك ، انه قد حذر زملاءه ، عندما دفعوه للتوقيع على القرار « ان رأساً فى مثل حجم رأس دانتون لا تقع وحدها . وأنه من الطبيعى أن تجر مثل هذه الرأس الكبيرة فى أعقابها رؤوساً أخرى » ! .

وجدير بالذكر أن بعض أصدقاء دانتون كانوا قد نبهوه الى ما يدبره له روبسبيير . وطلبوا منه الفرار الى الخارج . ولكن دانتون أجابهم : « ان رجلاً مثلى لا يستطيع أن يأخذ معه وطنه ، على نعل حذائه ، ويسافر به للخارج » ! .

وقد طلبوا اليه أن يقاوم الأمر بالقبض عليه . فأجاب : « ان هذا يعنى أن يسيل دم جديد . وقد سال حتى الآن ما يزيد عن الكفاية من الدماء . وأنا أفضل أن يقتلوننى ، على أن أقتلهم . وأصلى للرب وللناس أن يسامحوننى » .

وقد ودع دانتون زوجته الصغيرة . ثم سعى لمقابلة سجانيه على باب

منزله . وذهب معهم هادئا الى السجن .

وفى اليوم التالى ، حاول روبسبيير وأعوانه أن يلصقوا بدانتون تهمة التآمر مع أعداء فرنسا . وأن يمنعوا الكونفنسيون عن مناقشة موضوع القبض عليه . ولكن ليجندر ذكر أعضاء الكونفنسيون بتاريخ دانتون الوطنى . وطالب روبسبيير بأن يحضره أمامهم لمناقشته فى التهم المنسوبة اليه .

وقد رفض روبسبيير وأعوانه ذلك . وخطبهم روبسبيير فقال :

« ان السؤال ليس هو قيام دانتون بأداء واجبه الوطنى أولا ، وانما هو المعنى الذى يمثله تاريخه ككل . بماذا يمتاز دانتون عن لافاييت ؟ . عن ديه مورييه ؟ . عن هيبير ؟ . ماذا نستطيع أن نقول عنه ، ولا نستطيع قوله عن الآخرين ؟ . هل رحم أحد منكم الاخرين ؟ .

« ان العقول المريضة ، والأرواح المذنبة ، كثيراً ما تعجز عن رؤية حقيقة أصحابها . حتى يصدمها الواقع . ولكن اذا كانت هناك أرواح قد ذبلت ، فلا يزال فى هذه الجمعية أرواح بطولية . وستغلب الأرواح الباقية على كل صعوبة يتعرض لها وطننا .

« والواقع أن عدد المذنبين ليس كبيراً . والجريمة لم تستطع أن تغرر وتجند من بيننا إلا عدداً ضئيلاً . وعندما نتخلص من هذه القلة الخائنة ، سنكون قد أنقذنا أمتنا .

« ان من يرتعد الآن هم وحدهم المذنبون » .

وقد أعقب روبسبيير فى الحديث للكونفنسيون عدد من أعوانه . قبل أن يوافق الكونفنسيون على اجراءات لجنة الأمن العام فى محاكمة دانتون

وديسمولان وهيروه ديه سيشل ودايجلانتين وديلاكروا وعدد آخر من معاونيهم .

وقد بدأت المحاكمة بعد ذلك بيومين . وتمت اجراءاتها فى عجلة . وكان الحكم قد وضع سلفا . وقد أعلن فى ٥ ابريل . أى بعد ثلاثة أيام من بدء المحاكمة . وخمسة أيام من القبض على المتهمين . وانتهى الى اعدام ١٨ ، من بينهم الخمسة السالف ذكرهم .

ثم نقل المحكوم باعدامهم الى المقصلة ، فى ميدان الثورة ، فى عربة مفتوحة فى نفس يوم صدور الحكم . وكان دانتون يصيح خلال نقله : انك ستتبعنا يا روبسبيير . ستتبعنا يا روبسبيير ! .

وكان دافيد جالساً فى قهوة قريبة ، تطل على الميدان ، منتظراً وصول المحكوم باعدامهم ، كى يرسمهم . وقد رآه دانتون ، وشتمه . فقد كان أحد المحبذين لاعدامه . ولكن دافيد لم يرد عليه .

وقيل أن دانتون قد صاح فى جلاده قبل اعدامه : وقبل كل شيء ، لا تنسى أن تعرض رأسى المقطوع على الناس . فهى تستحق أن يلقوا عليها نظرة ! .

وكان أكثر المحكوم عليهم من الشباب . وعمر أكبرهم (فابر دايجلانتين) لم يكن قد تجاوز ٤٣ عاماً . وأما دانتون فكان عمره ٣٤ عاماً .

وقد أعقب اعدام الدانتويين بأسبوع واحد ، اعدام شوميت . ثم أسقف باريس : جوبيل (بتهمة الالحاد) . ثم أرملة هيبير . ثم أرملة ديسمولان الجميلة . ولم يكن عمرها قد تجاوز ٢٣ عاماً .

اعدام روبسبيير وأعوانه

. . .

وكانت فرنسا قد تحولت منذ نهاية عام ١٧٩٣ الى معسكر حربى كبير . فقد كان فيها تحت السلاح مليون جندى . ينتظمهم ١٢ جيشاً . وقد ظهر فيها عدد من القواد المبرزين ، من بينهم جوردان ، وهوش ، وبيشيجروه ، ونابليون . وقد أخلى الانجليز طولون فى ١٩ ديسمبر عام ١٧٩٣ . وهُزم الفانديون بعد ذلك بأيام قلائل فى سافيناى .

وفى بداية العام التالى ، ١٧٩٤ ، أوقف بيشيجروه زحف النمساويين على فرنسا . ونجح جوردان فى يونيه من ذلك العام فى اخراج البروسيين والانجليز من بلجيكا ، بعد هزيمتهم فى فلبير . واحتل بروكسيل وانتويرب . وكان زحف الاسبانيين من الجنوب ، والبيدمونتيين من الشرق ، قد أوقف تماماً .

ومع ذلك ، فان قبضة لجنة الأمن العام على فرنسا ، استمرت قوية . بل أن روبسبيير ، كان قد أحكم الرقابة على المسارح (ومنع تمثيل موليير ، وقبض على أعضاء فرقة الكوميدى فرانسيز) . ودفع زملاءه فى يونيه عام ١٧٩٤ الى اصدار القانون المعروف بقانون ٢٢ بريريال ، الذى استغنى فيه عن « الضمانات البورجوازية » فى المحاكم . فأسرع باجراءات المحاكمة . وأجاز الاستغناء عن استجواب المتهمين والشهود .

بل وحضور الدفاع . وجعل العقوبة الوحيدة التى تستطيع المحكمة الثورية الأمر بها هى الاعدام ! .

وفى نفس الوقت ، كان الغلاء فى باريس قد استشرى . وقد حاول روبسبيير عبثاً ، أن يتحكم فيه بتحديد الأسعار والأجور .

وقد أدت اجراءات روبسبيير المتشددة ، الى خلافات بينه وبين زملائه من أعضاء لجنة الأمن العام . وخصوصاً بيلوه فارين وكارنوه . والى تناقص نفوذه فى الكونفنسيون . وارتفاع الأصوات فى أنحاء كثيرة من البلاد بضرورة انهاء عهد الارهاب .

ثم تتابعت الأحداث بسرعة . فان روبسبيير تشاجر فى أحد اجتماعات لجنة الأمن العام مع بيلوه فارين . فترك الاجتماع غاضباً ، قائلاً لزملائه : ليكن لكم ما تريدون . انقذوا الأمة وحدكم من دونى ! . ثم لم يحضر بعد ذلك اجتماعاتها .

وقد ذهب اليه أعضاء لجنة الأمن العام فى منزله . وحاولوا استرضائه . والتفاهم معه . ولكنه قابل باراس وفريرون أسوأ مقابلة . وطرد من منزله فوشيه .

ثم عقد ، فى ٢٢ يوليه ، اجتماع موسع لمحاولة فض تلك الخلافات . ولكن روبسبيير لم يكن مستعداً للتنازل عن شيء . وقد أخذ يتهدد زملاءه . وأرسل يستدعى لباريس جميع مبعوثى لجنة الأمن العام . فخشى هؤلاء أيضاً على أنفسهم .

ثم ألقى روبسبيير ، بعد ذلك بأربعة أيام ، خطاباً طويلاً فى الكونفنسيون . طالب فيه بتطهير البلاد من الخونة والفاشلين ، سواء فى الميادين السياسية أو العسكرية أو الاقتصادية . ولم يستثن زملاءه : فوشيه ، وكوليه دايربواه ، وفاديه ، وتاليين . وهاجم على وجه

الخصوص بيلوه فارين ، وكارنوه . وتهدد روبسبيير أيضاً ، من دون أن يحدد أية أسماء ، بقية معارضيه ، من أعضاء اللجنة والكونفنسيون والمبعوثين . فثارت مخاوف الجميع . وطالبوه بأن يفصح عن الأسماء التى يتهمها ! .

ثم قاطع كامبون ، روبسبيير . واتهمه ، لأول مرة ، بالاستبداد . وقال له : أنك تريد وحدك أن تستأثر بارادة اللجنة والكونفنسيون ! .

وقد صدم روبسبيير من مقاطعة كامبون له ! . فتردد . ووقفت الكلمات على لسانه . وبدأ الآخرون يتصدون له بالمقاطعة . ويدافعون عن أنفسهم .

فلما يئس روبسبيير من موقف الكونفنسيون ، تركه . وذهب فى مساء ذلك اليوم الى نادى الجاكوبيين . وكان بيلوه فارين وكولوه دايربواه قد سبقاه الى هناك . وقد طلبا منذ وصولهما أن يتحدثا الى أعضائه . وأجيبا الى طلبهما . ولكن الجماهير لم تستمع لكلامهما . وأخذت تصيح فيهما : الى الجيلوتين . الى الجيلوتين ! .

ثم وقف روبسبيير ، وأعاد أمام أعضاء النادى خطابه الذى ألقاه بعد الظهر فى الكونفنسيون . وقد أعجب كلامه سامعيه . فأخذوا يهتفون بحياته . وحياة الجمهورية . ويتوعدون خصومه . وقد وعدهم روبسبيير بمعاقبة الخونة ، اذا ما أيدوه ، وأما اذا لم يفعلوا « فسوف أموت بعارى » .

* * *

وكان بيلوه فارين وكولوه دايربواه قد ذهبا ، بعد تركهما لنادى الجاكوبيين ، الى مقر لجنة الأمن العام . فوجدا سانت يوست منهمكا فى اعداد اتهامات روبسبيير لاعدائه . فتشاجرا معه على خيانته لزملائه .

واتفقا معه على أن يعرض تقريره على اللجنة ، قبل عرضه على أية جهة أخرى .

ولكن سانت يوست قدم تقريره فى اليوم التالى الى الكونفنسيون . فأخذ تاليان يقاطعه . وقام بيلوه فارين يفند مافيه . وقد أتهما روبسبيير بمحاولة « اغتيال الكونفنسيون » ، والقضاء على وطنيين خدموا الثورة بكفاءة واخلاص .

وحاول روبسبيير أن يدافع عن تقرير سانت يوست . ولكن كلماته ضاعت وسط الصياح والاضطراب . وترددت فى القاعة هتافات : يسقط الطاغية . الى الجيلوتين ! .

ووقف تاليان ، وأعلن عزمه على قتل روبسبيير بيديه . اذا لم يأمر الكونفنسيون بالقبض عليه ! .

وقد طالب روبسبيير بالرد على مايقال عنه . ولكن الرئيس ، ثيريوه ، منعه من الكلام . وسمح لفاديه ، بأن يكيل الاتهامات والشتائم لروبسبيير . وأخذ روبسبيير يجرى فى أنحاء القاعة ، ويتهدد الرئيس والأعضاء : الموت لكم . الموت لكم ! . ثم بح صوته . ولم تعد الكلمات تخرج على لسانه . وتعالى صراخ الاعضاء : ان دم دانتون قد ملأ فمك . وهو الان يخنقك ! .

ثم صوت الكونفنسيون على القبض على روبسبيير . وقبض معه أيضاً على شقيقه اوجستين . وعلى سانت يوست . وكوتون . وعشرات من أعوانهم . وقد ذهبوا بهم الى كوميون باريس فى الهوتيل ديه فيل .

ولكن أنصار روبسبيير فى الكوميون ، انحازوا له . وأعلنوا الثورة على الكونفنسيون . وانضم اليهم هانريوه ، وبعض رجال الحرس الوطنى .

وظن روبسبير أنه سينجح أخيراً فى القضاء على أعدائه . فأمر بأغلاق

أبواب باريس ، ومنع خروج أحد منها . وأغلق الصحف . وأعلن القبض على صحفيين وسياسيين كثيرين .

وكان باراس قد تولى قيادة وحدات الجيش المعسكرة فى باريس . فأرسل فرقتين منها فى ساعات الصباح الأولى لمحاصرة كوميون باريس . بينما كانت الأقسام الباريسية قد اجتمعت ، وأخذت تؤيد بقراراتها قرارات الكونفنسيون .

ولكن هطول الأمطار جعل كثيرين من جنود هانريوه ينصرفون . فلما وصلت فرقتا الجيش الى الهوتيل ديه فيل ، سيطرتا عليه بسرعة . ثم اقتحم ضباطهما المبنى بالقوة ، وعثروا على روبسبيير وأعوانه جالسين فى احدى حجراته . وقد طلبوا اليهم التسليم . ولكن روبسبيير رفض . فأطلق عليه أحد الضباط مسدسه ، وأصابه فى ذقنه . وكسرت الرصاصة فك روبسبيير الأسفل ، فتدلى عن بقية رأسه ، وأخذ دمه يسيل على الأرض بغزارة ! .

وقد أصابت رصاصة أخرى عين هانريوه اليمنى ، فاخرجتها ، وتدلت هى الأخرى على صدره ! .

وقد حمل باراس بعد ذلك مسجونيه الى مقر لجنة الأمن العام . وأحضروا لروبسبيير طبيباً ، استخرج بعض أسنانه وعظام فكه المكسور . وأسندوا باقى العظام الى مفتاح معدنى ، وربطوا الرأس بالأربطة .

ثم عقدت خلال ساعات المحكمة الثورية . فأمرت باعدام روبسبيير . وشقيقه أوجستين . وسانت يوست . وكوتون . وهانريوه . وديماس . وفليريوه . و١٥ من أعوانهم الآخرين . كذلك حكمت المحكمة الثورية بعد ذلك بأيام بالاعدام على ٨٧ عضواً من أعضاء كوميون باريس .

وقد نقل روبسبيير وزملاءه الى المقصلة ، فى مساء ٢٨ يوليه عام ١٧٩٤ . أى خلال ساعات قليلة من القبض عليهم ، ومحاكمتهم . وكانت الجماهير تهتف وتصخب . وتصب لعناتها عليهم ! . وتنادى : الى المقصلة . عاشت الجمهورية . يسقط الطاغية ! .

وقد حمل روبسبيير الى المقصلة حملاً ، مع زميله المقعد كوتون . وكان جسمه ضعيفاً ، وعيونه مغلقة . ولم يفتحهما إلا عندما نزع عنه الجلاد الأربطة التى وضعها حول رأسه الطبيب . فتدلى فكه مرة أخرى . وعاود الدم انبثاقه لحظات أخرى . حتى هوى حد المقصلة ، ففصل رأسه عن جسده .

الثورة الفرنسية المضادة

اذا كان لكل فعل رده . فان للثورات دائماً ، ثوراتها المضادة . وقد انتهت بنهاية روبسبيير الثورة الفرنسية . أو انتهى بنهايته مدها الثورى . وبدأت الثورة المضادة . أو مرحلتها اليمينية . أو وجهها الدستورى . أو محاولة صبغها بالصبغة أو الشرعية الدستورية . وكان الهدف من هذه المرحلة الجديدة واضحاً . وهو انهاء عهد الارهاب ، وتأكيد حكم البورجوازية ، والعودة للعمل بالدستور والقوانين .

وقد أعيد ، عقب اعدام روبسبيير ، تكوين لجنة الأمن العام . وسحب قانون تحديد الأجور . وأعيد فى ١٠ أغسطس تكوين المحكمة الثورية . وألغى قانون المحاكمات الاستثنائى « ٢٢ بريريال » . وأقفل فى ١٢ نوفمبر نادى الجاكوبيين . وألغى فى ٢٤ ديسمبر قانون الحد الأقصى للأسعار .

وقد أفرج عن الجيرونديين الباقين على قيد الحياة . فعاودوا أخذ أماكنهم فى الكونفنسيون . وقد اتحدوا فيها مع البقايا اليمينية والملكية ، بزعامة باراس وكامبون وساييز . وصدر لفرنسا دستور جديد .

* * *

وكان بيلوه فارين ، وكولوه داير بواه ، وكارنوه ، وتوكيه تينفيل ، وبقية اليساريين الجاكوبيين ، قد تركوا مناصبهم فى لجنة الأمن العام والمحكمة الثورية . وحتى هؤلاء الذين عارضوا روبسبيير فى أخريات أيامه ، مثل فريرون وتاليان وباراس ، اختفوا فى المرحلة الجديدة عن الأضواء . وظهر فى شوارع باريس جماعات مسلحة ، أطلق عليها أسم « الشبيبة الذهبية » تلبس ملابس خاصة ، وتحمل فى أيديها العصى المدعمة فى داخلها بالرصاص . وكان عمل هذه الشبيبة هو الاعتداء على الجاكوبيين ، ومحاولة كسر شوكة البروليتاريا الباريسية .

ومع أن ليندبه قد طالب الكونفنسيون بتجنب الانتقام من الارهاب السابق ، فقد أعدم فى ١٦ نوفمبر عام ١٧٩٤ المحامى كاريير ، الذى نظم الارهاب فى نانت . وأعدم بعده بأيام فوكيه تينفيل و ١٥ ممن عملوا معه فى محكمة الثورة .

ورغم هذا ، فقد ظل ماسمى بالارهاب « الأبيض » الجديد ، الذى شهدته باريس فى مايو/يونيه عام ١٧٩٥ محدوداً . وقد تميز فى الأقاليم ، خصوصاً فى جنوبى فرنسا ، بالضرب والتعذيب ، وأحياناً بالقتل . ولكنه لم يبلغ أبداً حد الارهاب السابق الذى أقامه روبسبيير . وقد استطاع الملكيون فى ليون ، والثوار فى الفانديه ، باسم هذا الارهاب الجديد ، أن يعودوا للسيطرة على مقاطعتهم .

وأصبح الموقف عصيباً بالنسبة لبروليتارية باريس . فان البطالة انتشرت بينهم . وأصبح بوسع أصحاب الأعمال فيها أن يطردوا عمالهم . وأن يمنعوهم عن حضور الاجتماعات السياسية خلال أوقات العمل . وزاد معدل الغلاء . واختفى الوقود فترة طويلة . واضطرت سلطات باريس الى تطبيق نظام البطاقات على الخبز . ومع ذلك ، هبطت

الثروات فجأة على بعض الناس ، فأصبحوا لا يدرون أين يذهبون بها . وكيف ينفقونها . وكان بعضهم « يتغذى بوجبة واحدة تكفى فقراء باريس شهوراً » ! .

واستفحل الأمر ، حين هبط معدل سقوط الأمطار . فقلت المياه فى أكثر أنهار فرنسا . وتجمدت مياه السين ، الذى يمر بالعاصمة الفرنسية باريس . وخرجت الذئاب من الغابات ، وهاجمت القرى المحيطة بها . ثم ذابت الثلوج فجأة . فأرتفعت المياه فى الأنهار . وأنتشرت الفيضانات .

وفى أول يناير عام ١٧٩٥ قام السان كيلوتيين فى باريس بمسيرة كبرى . ساروا فيها ، رجالاً ونساء ، عارين الأذرع والصدور . وقد توجهوا الى الكونفنسيون ، وطالبوا بتخفيض أثمان الخبز . ووقف نشاط « الشبيبة الذهبية » . واعادة دستور عام ١٧٩٣ . ولكن أعضاء الكونفنسيون لم يأبهوا بهم . واستعانوا بالحرس الوطنى على تفريقهم . ثم قبض على عدد من زعمائهم . وطرد كثير منهم من أعمالهم .

وأنتهز الكونفنسيون هذه الفرصة ، فتوسل بها للقضاء على بقايا المونتانيار بين أعضائه . فنفى بيلوه فارين ، وكولوه داير بواه ، الى غيانا . ونفى بارير الى جزيرة أوليرون .

ولكن السان كيلوتيين قاموا ، فى ٢٠ مايو عام ١٧٩٥ ، بمظاهرات جديدة . ساروا فيها الى قصر التويلرى . وأنضم اليهم خلال مسيرتهم جنود ثلاث فرق من فرق الحرس الوطنى . وقد دخل المتظاهرون على أعضاء الكونفنسيون فى صباح ذلك اليوم ، وطالبوهم بالطعام الذى يستطيعون دفع ثمنه . وحاول رئيس الكونفنسيون وبعض أعضائه أن يسكتوهم . ولكنهم قاطعوهم : لا تتكلموا . نريد الخبز ! .

ثم ظهر بعض ضباط الجيش ، ومعهم عدد من أفراد الشبيبة الذهبية . فأخذوا يضّربون المتظاهرين بالعصى والسياط ، حتى أضطر هؤلاء الى الخروج . ثم التفرق فى الميدان المحيط بالمبنى . ولكنهم تجمعوا مرة أخرى فى المساء . وأعادوا هجومهم على الكونفنسيون . وأحتلوا المقاعد الأولى فى قاعته ! .

وقد حاول أحد أعضاء الكونفنسيون ، فيرون ، أن يمنعهم عن التعدى على رئيسه . فقتلوه . ثم سحبوا جثته الى خارج المبنى . وقطعوا رأسه ، وحملوها فوق حربة ، ودخلوا بها وهى تقطر دماً الى قاعة الاجتماع ! .

ثم اجتمع عدد من أعضاء الكونفنسيون بزعماء المسيرة . وحاولوا مناقشتهم فى مطالبهم . ولكن النقاش لم يؤد الى نتيجة .

وكانت الساعة قد بلغت الحادية عشرة ليلاً . وقد تجمعت قوات الجيش ، وعلى رأسها صديق دانتون القديم : ليجاندر . ووقف ليجاندر يطالب الأعضاء بأن يكونوا حازمين . وطالب المتظاهرين بأن يبارحوا فوراً قاعة الكونفنسيون . فلما رفض الأخيرون طلبه ، استدعى لجاندر جنوده . وأخرج المتظاهرين بالقوة من المبنى . وقد تبعهم الجنود فى شوارع باريس . وقبضوا على عدد كبير منهم .

وانتهز زعماء الثورة المضادة هذه الفرصة ، فقبضوا على عدد من زعماء المونتانيار فى الكونفنسيون وخارجه . وقد أعدموا بعد ذلك ٦من المقبوض عليهم .

وحذر تاليان أنصاره :

« يجب ألا نلجأ الى انصاف الحلول . ويجب أن يكون مفهوماً لنا أن الغرض من مظاهرات اليوم ، كان اعادة تأليف كوميون

باريس ، وفتح نادى الجاكوبيين . ويجب ألا نسمح بهذين العملين . وأن نتعلم من الحوادث . وأن نعلّم هؤلاء الذين يلجأون للقوة ، ان كل ما سيجدون فيها هو الخراب . يجب أن نأخذ هؤلاء المجرمين بالشدة . وأن ننهى الثورة » .

وفى اليوم التالى ، قامت من فوبورج سان انطوان مظاهرة أخرى أكبر وأشد تسليحاً . وقد أنضم اليها بعض جنود مدفعية الحرس الوطنى ، حاملين معهم مدافعهم . وقصدوا جميعاً الميدان المقابل لمبنى الكونفنسيون . وكان الميدان مكتظاً بجنود الجيش المتجمعين فيه . ولكن الفريقان أخذا يتناقشان ، بدلاً من أن يتلاحما . ثم اتفقا على أن يتقدم وفد من المتظاهرين بعريضة الى الكونفنسيون . فانتخب المتظاهرون وفداً من بينهم . وكتبوا العريضة . وقدموها للكونفنسيون . واستمعوا لكلمات رئيسه وبعض أعضائه . ثم عادوا أدراجهم . وتفرقوا .

ولكن الرد على هذه المسيرة الأخيرة كان سريعاً وحازماً . فقد قُبض على عدد كبير من المشتركين فيها . وقدموا لمحاكمة سريعة ، قضت فى نفس اليوم بالحكم باعدام عدد منهم.وكان من بين هؤلاء قاتل فيروه . ولكن الرجل لم يكد يصعد الى المنصة التي نصبت فوقها الجيلوتين ، حتى صعد زملاؤه اليها ، وحرروه من رباطه ، وأخذوه معهم . ثم اختفوا فى شوارع فوبورج سانت انطوان ! .

وقد أسرع ٢٥٠٠٠ جندى من جنود الجيش بمحاصرة الحى . وتقدمهم ١٢٠٠ من الشبيبة الذهبية . وتجمهر حول هؤلاء جميعاً ألوف من أبناء الحى . وكادت تحدث مذبحة . ولكن ضباط الجيش اتفقوا مع الزعماء السان كيلوتيين على تسليم أسلحتهم وقاتل فيروه لهم .

وقد أعقب هذا ، القبض على ٣٠٠٠ من زعماء المونتانيار فى جميع

أنحاء فرنسا . واعادة تنظيم الحرس الوطنى ، كى يعود قوة بورجوازية ، كما كان فى بداية الثورة . فحرم السان كيلوتيين من زعامة الأول ، ومن مناصرة الأخيرين .

وظن الملكيون أن الفرصة قد واتتهم لأعادة سيطرتهم على فرنسا . واتفقوا مع الانجليز على غزوها من الغرب . وانزال قوات لهم ، ترتدى الملابس الحربية الانجليزية ، فى نورماندى . ولكن حسابات الملكيين فى استطاعتهم رشوة بيشيجروه ، وانضمام المواطنين الفرنسيين الى قواتهم ، فشلت . وقضى الجنرال فوش على قوات النبلاء التى أنزلت فى نورماندى فى أواخر يونيه عام ١٩٧٥ . وأعدم منها فى يوم واحد ٧٠٠ جندى .

انتقال السلطة الى التيرمودوريين ثم الجيش

وقد قال بواسي دانجيلاه للكونفنسيون ، فى أغسطس عام ١٧٩٥ ، فى تقديمه لدستور « العام الثالث للثورة » . وهو الدستور الذى اقترن اسمه باسم التيرمودوريين ، وهو شهر التقويم الثورى الذى سقط فيه روبسبيير :

« ان المساواة الكاملة بين المواطنين خرافة . ولو كان لها وجود من الحقيقة ، لاعتبرنا أن الناس جميعاً يتساوون فى الذكاء ، والفضيلة ، والقوة البدنية ، والتعليم ، والحظ .

« ان من حقنا ألا يتولى الحكم علينا إلا أفضل المواطنين . وأفضل من فينا هم هؤلاء العارفون العلماء ، الذين يدينون بالقانون وبالنظام . ولن نجد هؤلاء ، مع استثناء قليل ، إلا بين من يمتلكون الممتلكات ، ويرتبطون بالمواطن التى تقع فيها ، ويدينون للنظام الذى يحكمها .

« ولهذا فمن واجبنا أن نعطى الحقوق السياسية لهؤلاء الذين يملكون . وأن ننكرها على أولئك الذين لا يملكون شيئاً . ويريدون رغم هذا أن يستبدوا وحدهم بكل الحقوق . لأن مثل هؤلاء الرجال ، اذا قدر لهم أن يجلسوا بين مشرعينا ، سيلجأون

للاضطرابات ، من دون أن يأبهوا لنتيجتها . وسيوقعوننا فى تجارب عنيفة مثل هذه التى خرجنا منها لتونا » .

وقد أعاد دستور دانجيلاه فرنسا الى عام ١٧٧٩ . وجعل للبلاد مجلسين تشريعيين . الأول للنواب . ويتألف من ٥٠٠ عضو . تزيد أعمار كل منهم عن ٣٠ سنة . ويحق لهم وضع القوانين . والثانى للشيوخ . ويتألف من ٢٥٠ عضواً ، من المتزوجين ، أو الأرامل . الذين تتجاوز أعمارهم ٤٠ عاماً . ويحق لهم معارضة قوانين المجلس الأول .

وقد جعل دانجيلاه وزملاؤه ثلث أعضاء المجلسين يتقاعد كل عام . وأشترط أن يختار ثلثى أعضاء المجلسين الجديدين من بين أعضاء الكونفنسيون . وقد لاقى هذا الشرط الأخير معارضة كبيرة . فلم يوافق عليه فى الاستفتاء التالى على الدستور وقانون الثلثين ، إلا بأغلبية ٥٠٠٠٠ صوت . بينما وافق الناخبون بأغلبية تتجاوز المليون على دستور دانجيلاه .

وقد تركزت القوة التنفيذية فى الدستور الجديد فى يد ديركتورات من ٥ أعضاء . يختارهم مجلس النواب . وقد حل الكونفنسيون نفسه ، وأخذ الديركتورات يباشر أعماله منذ اكتوبر عام ١٧٩٥ .

ويلاحظ أن اعداداً كبيرة من الناخبين لم تشترك فى الاستفتاء والانتخابات التالية . وأن الاتجاهات اليسارية ، وعلى رأسها السان كيلوتيين ، قاطعتهما ، ثم ادعت تزويرهما . وكانت المعارضة فى باريس ، وجنوبى وغربى فرنسا ، قوية جداً . وقد قامت مظاهرات كثيرة فى انحاء البلاد . هتفت بسقوط قانون الثلثين ، وتوعدت النبلاء

والنظام الجديد .

وقد تعاون الملكيون مع بعض الاقسام المعارضة للحكومة فى باريس . وألفوا معا فرقا مسلحة ، بلغ عدد أفرادها ٢٥٠٠٠ رجل . وحاولت هذه الفرق المسلحة أن تشق طريقها ، من قسم ليبيلتيه ، الى مبنى الكونفنسيون . فأرسلت لهم الحكومة قوات من الجيش على رأسها الجنرال مينوه لوقف تقدمها .

وقد تقدم اليهم مينوه ، ومن خلفه مدفعيته وجنوده ، حتى أصبح وسطهم تقريبا . وطلب اليهم الانصراف وتسليم أسلحتهم اليه . فوعدوه بأن يفعلوا هذا اذا ما سحب قواته . وقد انصرفوا بعد ما انسحب . ولكنهم عادوا للتجمع والتظاهر .

وحينئذ أحلت الحكومة الجنرال باراس محل مينوه . وأرسل اليهم هذا ، البريجادير نابليون . وكان شابا صغيرا ، لم يتجاوز عمره ٢٦ عاما . وقد برز الى الضوء خلال حصار وسقوط طولون .

وأرسل باراس ، ضابطا آخر ، هو ميراه ، لاحضار ٤٠ مدفعا من معسكر حربى جنوبى باريس . وقد سلم ثمانية منها لنابليون . وكلفه بحراسة مبنى الكونفنسيون وحدائق التويلرى . وقد أحكم نابليون توزيع جنوده . وركزها على المداخل الشمالية التى يتقدم منها ثوار ليبيلتيه وحلفاءهم من الملكيين .

وفى الساعة الثالثة بعد الظهر ، تقدمت طلائع هذه القوات من حدائق التويلرى . وانتظر نابليون حتى زحموا شارع سانت أونوريه ، ثم أمر جنوده باطلاق الرصاص عليهم . ولما لم يتفرقوا ، نثرهم أشلاء بقذائف مدافعه . وقد ترددوا ، ثم تراجعوا منسحبين الى قسم ليبيلتيه .

وبعد ذلك بساعات ، حاولوا أن يتقدموا مرة أخرى الى مبنى

الكونفنسيون ، عبر طريق الجسر الملكى . ولكنهم لما لم ينجحوا ، عادوا أدراجهم الى قسم ليبيلتيه .

وكانت الساعة قد تجاوزت السادسة مساء بقليل . وقد فقدوا حوالى ٢٠٠ رجلا بين قتيل وجريح .

* * *

وكانت الحكومة قد حاولت أن تستعين بجميع الاطراف السياسية . وقد شجعتها انتفاضة الملكيين ، وتحالفهم مع ثوار قسم ليبيلتيه ، على الاستعانة باليسار . فسلحوا بعض أفراده فى باريس . وعينوا بعض الجيرونديين فى مناصب هامة . وحرروا الصحافة والمسارح من الرقابة .

ولكن مؤامرة فرانسوا نويل بابيف Babeuf (١٧٦٠ / ١٧٩٧) جعلتهم يضيقون مرة اخرى على اليسار . ويقيدون بعض الصحف . وقد قبضوا على بابيف ، مع عدد من أعوانه فى ١٠ مايو عام ١٧٩٦ . وحاكموه بعد ذلك بشهرين . ثم أعدم هو وأحد معاونيه فى ٢٦ مايو عام ١٧٩٧ .

وكان بابيف قد ولد فى سان كوينتين ، من أب موظف وأم جاهلة . ثم عمل جابيا للاموال فى روى ، ولاحظ بؤس الفلاحين هناك . ولما انتقل الى باريس ، عمل بالصحافة والكتابة . وأسس صحيفته Tribune du Peuple . وكان يسمى نفسه جراكوس Gracchus وهو قائد رومانى أراد أن يوزع الأرض على فالحيها . وقد نادى بابيف بالثورة . وقال أن المسئولين عنها قد خانوها . وان احوال البلاد قد تراجعت الى ماكانت عليه قبلها .

وقد آمن بابيف بالمساواة الكاملة ، والسعادة العامة «التى لا يحققها الا الغاء الملكية الفردية ، وايجاد وحدات كبيرة من الملكيات العامة » .

وقدر أن مبادئه لايمكن تحقيقها الا بالقوة . فأخذ مع أعوانه يؤلفون اللجان السرية فى أنحاء باريس ، وينشرون عن طريقها مبادئهم . ولكن جواسيس الحكومة تخللوا هذه اللجان منذ البداية . وجعلوا سقوط بابيف أمراً محتوماً .

* * *

وعندما ظهرت نتيجة الانتخابات الجديدة ، فى ابريل عام ١٧٩٦ ، تبين للحكومة أن أغلب الأعضاء الذين نجحوا فيها كانوا من الملكيين . ولكنهم لم يكونوا متحدين . إذ كانوا يفتقرون الى زعماء أكفاء . وكانوا يوقنون أن الشعور العام فى فرنسا يعادى الملكية . وأن ظهور قوى جديدة فيها ، يتطلب الحذر .

وقد أنتبه الديركتورات لغلطته فى استئصال اليسار ، وتشجيع الملكية . وعرف أن لا خيار أمامه سوى فى الاستعانة بالجيش . وكان الجيش الفرنسى قد أصبح ، بعد سنوات من النضال مع أعداء فرنسا ، قوة كبرى . تنظر لفرنسا ، وليس للثورة . ويأخذ فيه الجنود قدوتهم من الضباط البروليتاريين الجدد . وليس من زعماء الثورة .

وكان نابليون ، بعد أدائه الباهر فى طولون والتويلرى ، من أبرز هؤلاء القواد . وكان يسانده باراس ، الذى أصبح أحد رجال الديركتورات الخمسة . وقد أصبح نابليون جنرالاً . وعين قائداً لجيش الداخل . ثم اتفق طموحه مع رغبة الديركتورات فى التخلص منه . فأرسل فى مارس عام ١٧٩٦ قائداً الى ايطاليا . ولكن الديركتورات لم يسترح بعد ذلك الى استقلال نابليون فى اتخاذ القرارات . ولا الى نجاحه الباهر فى الحملة الايطالية .

ويلاحظ أن نابليون كان قد تهرب من الاشتراك فى انقلاب ٤ سبتمبر عام ١٧٩٧ « ١٨ فراكتيدور » . وأحل محله مساعده أوجيزوه . وهو الانقلاب الذى تخلص فيه الديركتورات من الملكيين ، وعلى رأسهم بيشيجروه . وألغيت الانتخابات فى ٤٩ مقاطعة . وأسقطت النيابة عن ١٧٧ نائباً . وأوقفت فيه الصحف المعارضة . وسجن ونفى وأعدم عدد كبير من الملكيين . وقد كان نجاح الديركتورات فى هذا الانقلاب تاماً . ولكن اعتماده على الجيش كان أيضاً كاملاً .

وفى مايو عام ١٧٩٨ ، رحب الديركتورات ، بخروج نابليون فى حملته على مصر . وقد أيقظت هذه الحملة تركيا وروسيا ، فوقفتا بالمرصاد بعد ذلك لفرنسا مع أعدائها . وعندما عاد نابليون الى فرنسا فى اكتوبر عام ١٧٩٩ ، وجد النمسا ونابولى تعاديان بلاده . والسويد تتهددها . وقد منيت الجيوش الفرنسية فى المانيا وايطاليا بالهزائم .

وكانت الثورات والحروب ، قد أنهكت الفرنسيين . فاستشرى الغلاء . وزادت الضرائب . وضج الفرنسيون من التجنيد الاجبارى والحروب المستمرة . فأصبحت البلاد ثمرة ناضجة بين يديه . وأستتبت له الأمور بانقلاب ٩ نوفمبر (بروميير) ثم ديسمبر عام ١٧٩٩ مما نفصله فى كتابنا فى هذه السلسلة .

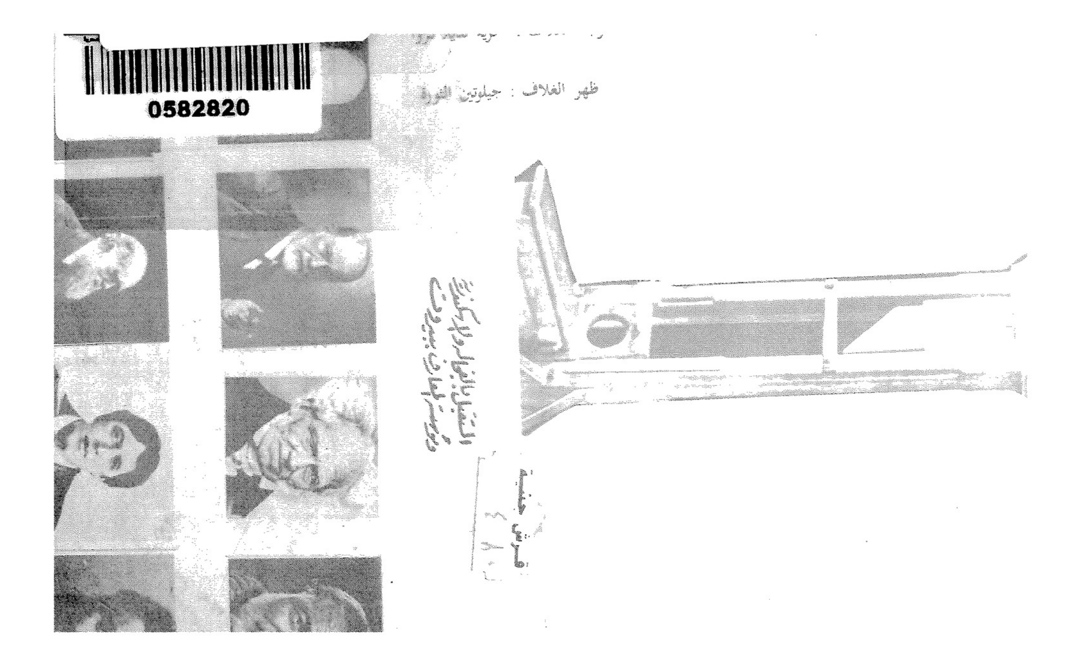
تواريخ فى سير الثورة الفرنسية

٥ مايو ١٧٨٩	اجتماع مجمع القوى الثلاث فى فرساى .
١٧ يونيه	القوة الثالثة تلقب نفسها بالجمعية الوطنية .
٢٠ يونيه	قَسَم ملعب التنس بفرساى .
١٤ يوليه	سقوط الباستيل .
٢٦ أغسطس	اعلان حقوق الانسان والمواطن .
٦ أكتوبر	انتقال الملك والجمعية الوطنية الى باريس .
٢ نوفمبر	تأميم ممتلكات الكنيسة .
١٩ يونيه ١٧٩٠	الغاء الألقاب الوراثية .
٢ أبريل ١٧٩١	وفاة ميرابوه .
٢٠ يونيه	هروب الأسرة المالكة الى فارين .
١٧ يوليه	مذبحة شامب ديه مارس .
٢٠ أبريل ١٧٩٢	فرنسا تعلن الحرب على النمسا وبروسيا .
٢٠ يونيه	أهالى باريس يهاجمون قصر التويلرى .
٦/٢ سبتمبر	مذبحة السجون .
٢١ سبتمبر	الكونفنسيون يلغى الملكية
٢٢ سبتمبر	بداية التقويم الثورى .

٢١ يناير ١٧٩٣ اعدام الملك لويس السادس عشر .
٢٦ مارس تأليف لجنة الأمن العام .
٤ مايو بداية العمل بقوانين الحد الأقصى .
٢٩ مايو/٢ يونيه القضاء على الجيرونديين .
٢٤ يونيه اعلان دستور عام ١٧٩٣ .
١٣ يوليه اغتيال ماراه .
٢٧ يوليه انضمام روبسبير للجنة الأمن العام .
١٦ أكتوبر اعدام مارى انطوانيت .
٥ أبريل ١٧٩٤ اعدام دانتون وبعض أعوانه .
١٠ يونيه قانون ٢٢ بريريال .
٢٨ يوليه اعدام روبسبير وبعض أعوانه ، والغاء قانون ٢٢ بريريال .
١٢ نوفمبر اغلاق نادى الجاكوبيين .
٢١ فبراير ١٧٩٥ قانون فصل الدين عن الدولة .
مايو / يونيه الارهاب الأبيض .
٢٢ أغسطس الكونفنسيون يوافق على دستور العام الثالث للثورة
٢٦ أكتوبر حل الكونفنيسون ، وبداية الديركتورات .
٢ مارس ١٧٩٦ نابليون يتولى قيادة جيش ايطاليا .
٢٧ مايو ١٧٩٧ اعدام بابيف .
٤ سبتمبر انقلاب ١٨ فراكتيدور .
١٨ مايو ١٧٩٨ ابحار نابليون على رأس الحملة على مصر .
٩ أكتوبر ١٧٩٩ عودة نابليون الى فرنسا
٩ نوفمبر انقلاب برومير .

فهرســـت

الموضـــوع	صفحة


ظهر الغلاف : جيلوتين الثورة
0582820